الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عين تموشنت بلحاج بوشعيب

كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية

قسم اللغة والأدب العربي

Ministère de L'enseignement Supérieur et de La Recherche Scientifique

Université Ain Témouchent Belhadj Bouchaib

Facultés des Lettres et Langues et Science Sociales

Département langue et lettre arabe

الخطاب الصوفي في رحلة ابن قنفذ القسنطيني

" أنس الفقير وعز الحقير"

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر

تخصص: أدب جزائري

من إعداد الطالبتين:

- عزي أمال.
- شعايب نسيمة.

إشراف الأستاذ الدكتور :

كبير الشيخ

اللجنة المناقشة المكونة من الأعضاء الآتي ذكرهم:

الاسم واللقب	الرتبة	مؤسسة الانتماء	الصفة
حطري سمية	أ. التعليم العالي	جامعة عين تموشنت	**رئيسا**
كبير الشيخ	أستاذ التعليم العالي	جامعة عين تموشنت	**مشرفا، مقررا**
بخيتي عيسى	أستاذ التعليم العالي	جامعة عين تموشنت	**ممتحنا**

السنة الجامعية: 2024/2023

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

شكر وتقدير

الحمد لله وكفى، والصلاة على الحبيب المصطفى، وأهله ومن وفى

أما بعد:

الحمد لله الذي وهب لنا التوفيق والسداد، ومنحنا الثبات وأعاننا على إتمام هذا العمل، ويسّر لنا في " تثمين هذه الخطوة، فاللّهملك الحمد حمدا كثيرا.

والشكر موصول بعده للأساتذة الكرام:

الأستاذ المشرف "كبير الشيخ" الذي تكرم بالإشراف على رسالتنا,وكذاالأستاذ المناقش "بخيتي عيسى" الذي سيكون مناقشا لهذا البحث,والذي سيمدنا بتوجيهاته ونصائحه والتي ستكون دافعة لنا,نحاول من خلالها تقويم أنفسنا للمضي قدما,كما لا يفوتنا أن نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذة"حطري سمية" التي ستنير هذه المناقشة كونها رئيسة لهذه الجلسة,فألف شكر للأساتذة الكرام ولكل من زودنا بحرف جعلها الله في ميزان حسناتكم.

الإهداء

إلى من تعب وبذل مجهودا فرحل قبل أن يقطف ثمار الزرع، إلى من أعانق لأجله نجاحاتي التي لم تكن لولاه: أبي الغالي رحمه الله.

إلى بلسم الجروح، إلى مدرستي ومربيتي، إلى أروع القلوب وأجملها وأجلها – أمي الحبيبة- أطال الله في عمرها.

إلى سندي في هذه الحياة وأنسي ومؤنسي –زوجي-

إلى فلذات كبدي، أولادي أحبائي إسلام، نورهان حفظكما الرحمان، وجعلكما من البارين وحفظة القرآن.

إلى إخوتي أحبائي وأغلى ما أملك في هذه الحياة حفظكم الله جميعا.

عزي أمال

الإهداء

إلى أسمى عبارات العطاء، إلى من لا يضاهيهما أحد في الكون

إلى من أمرنا الله ببرهما، إلى والدي الكريمين، حفظهما الله وأدامهما.

إلى رفيق دربي وصديق أيامي ومن كان الأول دوما في مساندتي زوجي الغالي " لزرق محمد "

إلى روح روحي إلى الطفولة التي ملأت عالمي، وأبهجت جوارحي، إلى من أستمر بالتقدم لأجلهم: يوسف ورياض.

إلى كلّ من ساند خطاي المتعثرة وكانوا البلسم لي إخوتي.

إلى كل هؤلاء شكرا لكم.

شعايب نسيمة

المقدمة

مقدمة

مما لا شك فيه أن الكتابة هي الوسيلة الأولى التي تنقل من خلالها العلوم والمعارف ومختلف الآداب والفنون من جيل لآخر، والأكيد أن الأدب الجزائري بشقّيْهِ ـ القديم والحديث ـ حافل بمختلف الفنون، التي لامست الحياة الواقعية للإنسان الجزائري من جهة، وعكست مدى ثراء تاريخنا الأدبي من جهة ثانية، فالأدب الجزائري قديم عريق أصيل، قَدَّمَ للأجيال المتعاقبة صورة عن الحياة في هذه الأرض منذ الأزل. فعرّفهم على تاريخهم، وعلى كوكبة من الأدباء الذين سخروا حياتهم لجمع المادة الأدبية والعلمية، التي تُعتبَر كنزا ثمينا ودليلا على أصالة الأدب الجزائري.

ولعل من الألوان الأدبية التي ذاع صَيْتها في أدبنا الجزائري، أدب الرحلة والذي يعتبر رافدا من الروافد الأدبية التي تصبّ في نهر الأدب الجزائري، فالرّحّالة الجزائريون جالوا الأمصار وقطعوا الصحاري والوديان حبًّا في الاستطلاع والاستكشاف والسياحة، ورغبة منهم في الاستزادة في العلوم والإفادة منها، أو طمعا في زيارة بيت الله الحرام (الرحلات الحجازية) أو تلك الرحلات الصوفية كرحلة أنس الفقير وعز الحقير لابن قنفذ القسنطيني خلال القرن الثامن الهجري، والتي خصصها للقاء الأولياء الصّالحين وشيوخ الصوفية وأصحاب الكرامات، وأدرج جزءا كبيرا منها للشيخ القطب " أبي مدين شعيب ".

ولقد حاولنا في هذا الموضوع ربط رحلة ابن قنفذ بالظروف التاريخية، وإبراز الواقع الثقافي خلال القرنين السابع والثامن الهجريين، هذا لأن الأدب يؤثر فيما حوله ويتأثر بالظروف المحيطة به, و كل هذا ينعكس على الواقع الثقافي وقد طرحنا الإشكالية التّالية : أين تجلّى الخطاب الصّوفي في رحلة ابن قنفذ؟ و ما هي مكوّناته؟

إضافة إلى تساؤلات أخرى حاولنا أن نجيب عنها من خلال عملنا هذا وقد تمثلت فيما يلي:

هل خطاب الرحلة عند ابن قنفذ هو نفسه الخطاب عند غيره من الرحالين؟ كيف تجسّد خطاب الرحلة في نص أُنس الفقير؟ هل فرضت بيئة العصر عليه إنتاج نص صوفي مدثر بخطاب الرحلة؟.

وفيما يخص الأسباب التي دفعت بنا لاختيار هذا الموضوع، هي رغبتنا الملحّة في معرفة جزء من تاريخنا القديم، والذي نعتزّ ونفتخر به، فالجديد لا يُبنَى إلاّ على أنقاض الماضي، واستمتاعنا بقراءة هذا الأدب الجميل" أدب الرحلة" الذي يضع القارئ نفسه في جوّ الرحلة، فيندمج مع تلك الأحداث كما لو كان جزءا منها.

أمّا عن تصميم هذا الموضوع ومضمونه: فقد حوى مدخلا وفصلين.

ففي المدخل تناولنا الحركة العلميّة في دويلات ما بعد الموحّدين.

أمّا الفصل الأول فقد جاء بعنوان التّصوّف و خطاب الرحلة في القرنين السابع والثامن الهجريين فتضمّن عنصرين أساسين ، أوّلهما : التّصوّف، فقدمنا فيه تعريفا لغويّا و آخر اصطلاحيّا، ثمّ انتقلنا إلى الحديث عن الحياة العامّة للتّصوّف في الغرب الإسلاميّ لنعرّف بعده بابن قنفذ صاحب كتاب أنس الفقير و عزّ الحقير و بالتّصوّف على عهده. أمّا العنصر الثاني وهو خطاب الرحلة وأثره في الغرب الإسلامي، فقد أدرجنا فيه ماهية الرحلة وأنواعها وكذا دوافعها في الغرب الإسلامي، و طبيعة تلك الرحلات داخل دويلات الغرب الإسلامي، والحركة الرحلية الداخلية فيما بينها، والتي كانت منْ / إلى الأندلس وباقي دويلات المغرب. لنسلط في الأخير الضوء على المراحل التي مرت بها الرحلة في عصر ابن قنفذ.

أمّا الفصل الثاني فقد كان تطبيقيا: تناولنا فيه قراءة مختصرة لكتاب "أنس الفقير وعز الحقير" لابن قنفذ "من العتبات إلى المتن "، وقد أدرجنا فيه هو الأخر عنصرين أساسيين

أولهما الخطاب الرحلي ،من حيث المضمون و الشكل و مكوناته و خصائصه، لننتقل للحديث عن تجليات التّصوّف في رحلة أنس الفقير(الكرامات، الأضرحة، و المقابر، وكذا أهم الطوائف والفرق).

وقد انتهجنا في موضوعنا أسلوب السرد التاريخي و المنهج الوصفي، فركّزنا فيه على تقصّي الحقائق التاريخية من المصادر والمراجع التي لها علاقة بالموضوع، إضافة إلى المنهج التحليلي لاستخلاص أهم المظاهر التي طبعت الغرب الإسلامي خلال القرنين السابع والثامن الهجريين، كما حرصنا على عملية التوثيق من أجل حفظ الأمانة العلمية.

وكأيّ بحث كان، فلابدّ أن تواجه الباحثَ صعوباتٌ، ومن الصّعوبات التي واجهتنا قلة المصادر والمراجع، و تكرار نفس المعلومات في أغلبها وكذا ضيق الوقت.

أما عن أهمّ المصادر التي اعتمدنا عليها فهي :

- كتاب أنس الفقير و عزّ الحقير لابن قنفذ القسنطيني.

وفي الأخير,فإنه ورغم ما بذلناه من جهد، إلا أننا لن نوفي البحث حقه، وما قدمناه ما هو إلا قطرة من بحر أدبنا الجزائري الذي لن تكفي هذه الصفحات للحديث عنه.

كما لا يفوتنا أن نشكر الأستاذ "كبير الشيح" على نصائحه القيمة، وملاحظاته السديدة,وتوجيهاته النيرة التي أفادنا بها، وكذا اللجنة المناقشة التي سوف نستفيد من ملاحظاتها لتقويم بحثنا، وجامعة بلحاج بوشعيب–عين تموشنت التي قدّمت لنا كل التسهيلات لإنجاز هذا البحث المتواضع، فألف شكرٍ للجميع.

عزي آمال – شعايب نسيمة

عين تموشنت 2024/05/29

المدخل:

الحركة العلمية في دويلات

ما بعد الموحّدين

1.صورة عامة للعصر في المغرب والأندلس:

عندما ضعف الموحدّون في المغرب، أخذ ولاّتهم في الأندلس يتنازعون الإرث، فسقطت الدولة الموحديّة، وانبثقت عنها دويلات ثلاث وهي الحفصية و الزيانية و المرينية[1]، أرادت كل واحدة منهم أن تظفر بولاية المغرب العربي، ممّا جعلها سياسيا في صراع دائم، أمّا ثقافيا فكانت في تنافس وتناغم.

تمزقت خريطة المغرب الإسلامي، بعدما عجزت هذه الدّويلات على الاستحواذ على المغرب فتقاسمت الغلّة فيما بينها، الغرب للمرينيين والشرق للحفصيين واللّب لبني عبد الواد.

2.الحركة العلمية في الغرب الإسلامي:

1.2.الحركة العلميّة في عهد الدّولة الحفصيّة:

سار الحفصيون على خطى أجدادهم الموحدين، فاهتموا بالثقافة وبالتعليم أيما اهتمام، فإذا ما بلغ الطفل سنّ التميّز ـالرابعة أو الخامسةـ[2]، أرسِل إلى الكتاتيب. ولقد سبق الحفصيون الزيانيين والمرنيين في التحضر، واستطاعوا أن يستغلوا الإرث الذي تركه الموحدون، فكانت دولتهم بتونس تمثل أرقى ما وصلت إليه الحضارة الإسلامية في القرن السابع الهجري وما بعده. [3]

[1] محمد طمار ومحمد بن عمر، كتاب تاريخ الأدب الجزائري، د. ط، الحركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، د. س ن، ص 89.

[2] محمد عادل عبد العزيز، التربية الإسلامية في المغرب وتأثيراتها الأندلسية الهيئة العام للكتاب، د. م. ن، 1987، ص17.

[3] رابح بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته، د. ط، دار الهدى وزارة الثقافة الجزائر ص 476.

فالقيروان منشأ العلم، ومورد الحركات العلمية، بها أول مسجد في المغرب العربي، وقد أسسه عقبة بن نافع عام 670 م، هذا الأخير استقطب العلماء من كل حدب وصوب، فنشروا العلوم هناك، فصارت مركزا علميا أصيلا[1].

كما تأثرت الحركة العلمية في الدولة الحفصية بنظيرتها في المشرق عن طريق الرحلات العلمية، وإلى جانب جامع القيروان، كانت هناك جوامع أخرى كجامع القصبة، وجامع القصر وجامع الزيتونة الذي يُعَدُّ حاضرة من حواضر العلم، قال فيه ابن الشماع «وجامعها مليح الصنعة، حسن الموضع، يطُلّ على البحر، بناه عبد الله بن الحبحاب، ودار الصناعة سنة أربع عشرة ومائة [2] »

والجدير بالذكر أن الجامع لم يكن جامعا فقط، بل كان صرحا ثقافيا، وجامعة تدرس فيها مختلف العلوم، وكانت له هيبة ومكانة لدى الأمراء، فها هو السلطان أبو فارس عبد العزيز يفرض ترتيب قراءة صحيح البخاري فيه بعد الظهر، والترغيب والترهيب بعد العصر[3].

كما اهتم الحفصيون ببناء الزوايا، وأنفقوا عليها بسخاء، وكانت مكانا للدراسة يتوجه إليه الطفل ما بعد سن التميز، وبإنشاء الرباط الذي أصبح هو الآخر مركزا علميا.

زاد اهتمام الحفصيين بالعلم والعلماء، فأدخلوا نظام المدرسة في التربية والتعليم في القرن الثالث عشر ميلادي، وهو النظام الذي كان معروفا قبل ذلك في المشرق[4].

---

[1] محمّد زيتون، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، دار المنار القاهرة 1988، ص 241.

[2] ابن الشماع الأدلة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، طاهر بن المعمري، دار العربية، د. م. ن/د. ط/1996، ص 32.

[3] الترغيب والترهيب: كتاب في الحديث لابن القاسم إسماعيل الفضل بن محمد القرنسي، ت 457هـ.

[4] شاكر مصطفى. موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها، دار العلم للملايين لبنان ج2، 1993، ص 1261

ومن أشهر المدارس، نجد مدرسة الشماعين والمدرسة التوفيقية وغيرهما.

لقد حرص الحفصيون على مجانية التعليم، بل إن المدرسة المعرضية كانت تمنح امتيازات مالية لطلابها.

تعد تونس وبجاية وقسنطينة ثلاثة أقطاب علمية، بها مراكز ثقافية.

ونظرا للصراعات التي كانت تحدث في الأندلس، نزح علماؤها نحو المغرب، ومنهم من قصد تونس الّتي استقبلتهم بحفاوة، واستفادت من علومهم، وعلى رأسهم ابن خلدون. وبالتّالي انتعشت العلوم. كما عرف الحفصيون نهضة علميّة غير مسبوقة، ومن الأندلسيين من قصد بجاية، فظفر بمكانة مرموقة لدى أمير البلاط الحفصي. والسلاطين الحفصيون أبدَوا اهتماما بمتصوفي بجاية وأُعجِبوا بقدرتهم على المناظرة والمحاورة.

وقد بعث السلطان أبو زكريا للصوفي البجائي أبي العباس أحمد(ت644هـ/1246م)- للحضور إلى مجلسه، وقد أبان هذا الأخير عن تمكنه وتفوقه عن فقهاء تونس [1].

أمّا قسنطينة، فكانت هي الأخرى معبرا للطلاب والحجاج نحو بلاد المشرق [2]، وقد جعلها الحفصيون عاصمة ثقافية وسياسية لدولتهم، وكانت حضارة علمية إبان حكمهم، نهلت من مدارسها وجوامعها، ومن القادمين إليها من الأندلس وتونس وبجاية، وممن ذاع صيتهم فيها أسرة ابن القنفذ القسنطيني[3].

[1] علاوة عمارة، مغرب أوسطيات، دراسات في تاريخ وحضارات الجزائر في العصر الإسلامي الوسيط، د. ط، مكتبة إقرأ قسنطينة الجزائر 2013.

[2] عبد العزيز فيلالي، مجلة أفكار، (المرجع السابق).

[3] ينظر: كمال غرب، المساجد والزوايا في مدينة قسنطينة الأثرية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقات 2011ص 64.

وما يلفت الانتباه أن المراكز الثقافية والعلمية السابقة الذكر كانت في تونس وبجاية، ربما لكونهما مدينتين ساحليتين، ما جعل قسنطينة أقل من نظيرتيْها.

لقد نتج عن احتكاك الأندلسيين بالحفصيين تطورا ملحوظا في الثقافة العربية الإسلامية، فتغيرت طرق الدراسة وأساليبها، فبعدما كانت تقليدية تعتمد على حفظ القرآن ورواية الحديث، أصبحت ترتكز على التفكير والحوار، بهدف إفهام الطالب وترسيخ المعلومات في ذهنه[1].

والحفصيون من جهتهم، اهتموا بمختلف العلوم سواء أكانت عقلية أم نقلية، كعلم القراءات والتفسير ومن أشهر القرّاء: أبي القاسم اللبيدي الذي كان يدرس التسيير في القراءات السبع للداني، ومحمد بن بدال الذي كان يدرس لطلابه قصيدة الشاطبي. وآخرون كثيرون كأبي عثمان سعيد بن علي بن زاهر الأنصاري البلنسي، والفقيه محمد بن عرفة الورغمي، أما في التفسير، فنذكر على سبيل المثال لا الحصر، عبد العزيز بن محمد القرشي المشهور بابن بربزة (ت 662هـ/1263 م) ومحمد عبد النور التونسي

(ت 726هـ/1326)، كما عرفت دراسة الحديث ازدهارا لا مثيل له في هذا العصر، ومن أشهر الرواة نجد الشيخ أبا عبد الله محمد المهتار، راوي الحديث بجامع القصبة[2]، أما في الفقه فقد انتشرت المذاهب الاربعة، لكن أكثرها رواجا وانتشارا المذهب المالكي، ومن أشهر الفقهاء نجد: محمد بن عبد السلام الهواري، من تلاميذه ابن خلدون، ومحمد بن عبد النور التونسي، والإمام الفقيه أبوعبد الله بن حجاج بن عبد الله بن يوسف السكات، من بيت جزائري عتيق في المجد، شهير بالرئاسة في العلم[3].

---

[1]–نصر الدين سعدون: تاريخ العرب السياسي في المغرب من الفتح العربي حتى سقوط غرناطة، ج3، دار النهضة العربية لبنان، 1987، ص108.

[2]– محمد طمار ومحمد بن عمر، المرجع نفسه، ص90.

[3]– المرجع نفسه، ص93.

كما اهتمت الدولة الحفصية بمختلف فروع الأدب من شعر ونثر وبلاغة ونحو...وهذا لحماية اللغة من الفساد، وممن ذاع صيته صاحب الألفية في النحو "ابن معطي الزواوي وغيره كثيرون كأبي القاسم ابن البراء والفقيه النحوي اللغوي التاريخي أبو عبد الله محمد بن الحسن بن علي بن ميمون التميمي القلعي...يقول أبو علي المسيلي «أدركت ببجاية ما ينيف عن تسعين مفتيا، فما ظنك بالأدباء والنحاة والمحدثين»[1]، لقد أصبحت بجاية حقا منارة علمية حينها فقد حفلت بالعلماء القادمين من الأندلس، ولو تحدثنا عن العلوم العقلية، فالاهتمام بها لا يقل عن سابقتها، فالاحتكاك الذي نتج عن هجرة الأندلسيين كان له الأثر البالغ، فها هو أبو عبد الله القرطبي، يأتي فارا إلى تونس، وكان آية في الحساب والفرائض[2] وأبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر المنصور القلعي من قلعة بني حماد، عالم في الحساب، وممن ذاع صيتهم في الطب أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد الأموي، المعروف بابن اندراس وابنه يعقوب يوسف بن محمد الذي أورثه الطب إلى جانب علم التاريخ. ومن أشهر مؤرخي هذه الحقبة أبو العباس أحمد بن عبد الله القرشي و الشريف الغرناطي وابن خلدون وابن قنفذ...

2. 2.الحركة العلمية في عهد الدولة الزيانية:

تعتبر الدولة الزيانية (633/962هـ) ثاني دولة انفصلت عن الدولة الموحدية، وكانت القبائل الزيانية في بادئ الأمر من الرّحّل الذين تحالفوا مع الموحدين، لكن أمام تدهورهم وانحطاطهم، انشقوا عنهم، وقد تمركز بنو عبد الواد بقيادة يغمراسن بتلمسان وضواحيها، وما يميز هذه الدولة، وقوعها بين المطرقة والسندان، الحفصين شرقا، والمرينيين غربا.

[1]–محمد طمار ومحمد بن عمر، المصدر السابق، ص90.

[2]–حميدة بن عامر هادفي، مساهمة رياضي الأندلس في المادة العلمية بإفريقية خلال القرون الوسطى. مكتبة الملك عبد العزيز العامة. الرياض. 1996. ص74.

لقد عرفت الدولة الزيانية نهضة حضارية وعلمية لا مثيل لها فتنافست مع جيرانها ولعل السبب الرئيسي لهذه النهضة هو وفود الأندلسيين الذين حملوا معهم كل غث وسمين من علوم وآداب وفنون، ضِف إلى ذلك أنها تعتبر طريق عبور بين الدولتين ـ الحفصية و المرينيةـ من جهة، أو عند العبور أو العودة من /إلى المشرق، وبالتالي فالعلماء الذاهبون أو القادمون المحمّلون بأمهات الكتب، ومختلف العلوم يجعلون للزيانيين نصيبا مما حَمَلوا.

لقد صارت تلمسان محطة للعلماء والطلاب المتصوّفة، ولقد عرفت دولة بني الواد المدارس التي استقبلت الطلبة كمدرسة ابنيْ الإمام والتي كان هدفها دعم الحياة العلميّة بتلمسان[1].

هذه المدرسة بناها السلطان أبو حمو موسى وهو من أطلق لقب الدولة الزيانية بدل العبدوادية[2].

وبعدما تزايد عدد الطلاب على هذه المدرسة، بنيت المدرسة التاشفينية، نسبة للسلطان أبي تاشفين الذي بناها، والتي ابتدأت نشاطها سنة 720هـ، وقد توفرت على كل الظروف المناسبة من إمامة وإيواء ومنح للطلبة، أمّا المدرسة اليعقوبية، فقد تم تشييدها سنة (765هـ-1255م)، من طرف أبي حمو موسى الثاني[3]، وافتتحت رسميا سنة 779هـ، ثم تغير اسمها ليصبح مدرسة سيدي إبراهيم المصمودي* ، أما المدرسة الرابعة فهي مدرسة

---

[1]-مبارك بوطارن: العمارة الدينية في المغرب الأوسط د ط. كنوز للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص247.

[2]-محمد طمار ومحمد بن عمر، المرجع السابق،ص13.

[3]- مختار حساني: تاريخ الدولة زيانية الجزء 2، ط2009 منشورات الحضارة، بئر توتة الجزائر، ص276.

*إبراهيم المصمودي، هو الشيخ العالم الصالح الزاهد أبو إسحاق أحد شيوخ الإمام ابن مرزوق الحفيد، ولد بصنهاجة بالمغرب، اخذ العلم بفاس على جماعة من الأكابر وقرأ عن الإمام الشريف التلمساني.

العباد، بنيت سنة 748هـ-1238م، وعندما استولى المرينيون على المغرب الأوسط، من طرف السلطان أبي الحسن المريني، حاول من خلالها جذب النفوس إليه، واستمالتهم، ضمّت العلوم النقلية كالشرعية والفقهية، والعقلية كالعلوم الرياضية[1].

إضافة إلى المدرسة الحلويّة التي أسّسها أبو عنان بن الحسن المريني (754هـ-1341م)[2]، كما أن التعليم عند الزيانيين لم يقتصر على المدارس فحسب بل كان للمساجد دور هام في نشر العلم، ونذكر منها الجامع الكبير الذي شيده السلطان المرابطي يوسف بن تاشفين (530هـ- 1136م) ومسجد سيدي أبي مدين نسبة للشيخ الصوفي أبي مدين شعيب الذي دفن بتلمسان ومسجد سيدي أبي الحسن ومسجد سيدي إبراهيم المصمودي وغيرها.

وإلى جانب المدارس والمساجد، نجد الزوايا التي حملت أسماء الأضرحة الموجودة بها.

لقد تنوعت العلوم عند الزيانيين، لأنّ حكامها أدركوا جيدا أثر العلم في بناء أي دولة وقوتها، فقربوا العلماء وأغدقوا عليهم بالهدايا والجوائز. ومن أبرز علماء هذه الحقبة: أحمد بن الحسن بن سيعد المديوني التلمساني (فقيه مالكي محدث/ ت 768هـ)، وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي التلمساني المشهور بالخطيب، وفي الفقه أبو الحسن التنسي ومحمد بن الحسن بن محمد اليحصوبي المعروف بالبارودي، وابنا الإمام أبو زيد عبد الرحمن، وأبو موسى عيسي ابن محمد بن عبد الله ومن المتصوفين قاسم بن سعيد العقباني التلمساني أبو الفضل وإبراهيم بن محمد المصمودي التلمساني وغيرهم[3]،

[1]- سعيد عبادي، موقع تلمسان في تاريخ المدارس الفكرية في العالمين الغربي والإسلامي 2011، ص403.

[2]-مختار حساني، الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية، دار الهدى للنشر والتوزيع، ج4، ص277.

[3]- ينظر: مجلة القرطاس. أد عبدلي لخضر، قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، العدد 01، 2012.

وأحمد بن محمد المقري والإمام عبد الله محمد بن أحمد الشريف الحسيني التلمساني، ومحمد بن أحمد بن عبد الرحمن الشهير بابن زاغو[1].

3.2/. الحركة العلمية في عهد الدولة المرينية:

أفل نجم الموحدين واندثر عهدهم، وتشتت شملهم بسبب الصراعات الداخلية حول الحكم والتي أضعفتهم، فاستولى بنو مرين على المغرب الأقصى، وهم من زناتة[2] أي أنهم وبنو عبد الواد من أصل واحد، سكنوا الزاب. وعند مجيء الهلاليين، ابتعدوا متجهين نحو المغرب الأقصى، فتألق نجمهم، فكان لهم عرش مراكش الذي تربع عليه أبو يوسف يعقوب سنة (668هـ-1269م).

عرفت الدولة المرينية ازدهارا في الثقافة، واهتمت بالعلم أيما اهتمام، وزاد الإقبال على الدروس والتحصيل العلمي، وأينما وليت وجهك، وجدت المدارس. كما كثرت الحلقات والمجالس العلمية، وتعددت المراسلات والفتاوى[3] في مختلف القضايا. كل هذا طبع الثقافة في هذا العصر، فأضفى عليها خصائص وسمات لم تكن من قبل. فطلاب العلم عموما كانوا يلجؤون إلى الشرق تارة وإلى الأندلس تارة أخرى، في كل صغيرة وكبيرة، لكنهم اليوم معتمدون على أنفسهم.

كما حظوا بالتقدير والاحترام أينما حلوا وارتحلوا، وأصبحت فاس منارة علمية، يأتيها الطلاب من كل حدب وصوب، لعلهم يظفرون بعلم نافع ورأي سديد أوفتوى في مسألة استعصت عليهم، ليس هذه فحسب، فهاهم علماء الأندلس يستعينون بهم في مسألة قضّت

---

[1]-ابن مريم الشريف المليتي المديوني التلمساني. البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان/دط/ تح شنب محمد. المطبعة الثعالبية. الجزائر 1908.

[2]-محمد طمار ومحمد بن عمر، المصدر سابق، ص196.

[3]- الحسن الشاهدي، المصدر السابق، ص25.

مضجعهم تتعلق بالتصوف؛ فهل يصح سلوكه تعلما من الكتب فقط؟ أم لا بد من شيخ يأخذ عنه المريد؟[1]

لقد استطاع علماء فاس أن يزيلوا حيرتهم ويزودوهم ويقنعوهم بالجواب الشافي الكافي.

حرص المرينيون على إشاعة التعليم في كل الربوع، فلم يقتصر على الحواضر الكبرى بل شمل القرى والبوادي، وغيرهما، وجلعلوا من فاس مستقطب العلماء الذين كانوا يرتحلون إليها بعد تخرجهم لشحذ الهمم وطلب المزيد من العلوم، إذا زاد عدد العلماء وتعددت ميادينهم فاهتموا بعلم اللغة.

ومن مؤلفاتهم كتاب إصلاح المنطق لابن سكيت[2]، كما تذوق المرينيون الشعر، الذي كان يلقى في رحاب قصور بني مرين، ومن أبرز الشعراء محمد بن محمد القشتالي[3] ومالك بن المرحل[4] ولسان الدين بن الخطيب، الذي شغل منصب وزير حكم بني الأحمر في غرناطة بالأندلس[5].

والأمر نفسه بالنسبة للمجال الديني، إذ تطورت العلوم الدينية من خلال العودة إلى المذهب الأشعري في المعتقدات والمالكي في الفقهيات[6].

---

[1]– الحسن الشاهدي، المرجع السابق، ص26.

[2]– جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. تح. محمد أبو الفصل ابراهيم، المكتبة، لبنان– صيدا. ص120.

[3]–أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب /ج6/ دار صادر، بيروت. ص108.

[4]– شاعر الدولة المرينية الذي عاش في بلاطها وصاحب كتاب الرمي بالحصى والضرب بالعصى.

[5]–إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ. مج10. دار الرشاد الحديثة. الدار البيضاء. 2000. ص166.

[6]– الحسن الشاهدي، المصدر نفسه، ص31.

هذا الأخير عرف نكسة مع الموحدين الذين أمروا بإحراق كتبه على مرأى ومسمع الجميع[1]، كما ونال الفقهاء مكانة راقية في هذا العصر وتقلدوا مناصب عليا[2]، نذكر منهم عبد الرحمن الجذامي (ت778هـ. 1376م) كما درس علم القرآن الكريم ومن أبرز علمائه محمد بن علي العابد الأنصاري (762هـ-1362م) الذي اختصر الزمخشري، ومحمد بن محمد بن البقال (ت725هـ-1324م)، وطبعا إلى جانب هذا العلم، نجد علم الحديث، ومن العلماء الذين رووا الأحاديث بأسانيده محمد بن عبد الرحمن التميمي، وابن رشيد (ت721هـ/1321م).

كما انتشر التصوف الذي كان نسبيا علميا، بعيدا عن تلك المزالق التي جردته من حقيقته، ولعلّ مدرسة أبي مدين شعيب من أهم الطرق الصوفية المنتشرة في المغرب، ومن متصوفي هذا العصر نجد أحمد بن عمر بن عاشر الأندلسي (ت765هـ/1364م) ومحمد بن عبد الرحمن الصنهاجي، كما عرف هذا العصر نشاطا كبيرا في بناء الزوايا والمساجد والتصدق على الفقراء بسخاء، إلى جانب كثرة المناظرات.

كما اهتم المرينيون بالعلوم الأخرى كعلمي التاريخ والجغرافيا، والفلك الرياضيات، نذكر منهم ابن البناء العددي (ت723هـ/1323م) من مؤلفاته المستطيل والسيارة في تعديل الشارة، وكتاب المناخ في تعديل النجوم. كما برع بنو مرين في الطب، ومنهم أحمد بن محمد بن شعيب القرجاني، وممن برعوا في الرياضيات والهندسة، منهم محمد بن علي بن عبد الله بن الحاج (714هـ/1314م) ومحمد بن الشيخ الكبير الذي برع في علم الحساب إلى جانب علوم أخرى كالفلسفة والمنطق.

---

[1]- إسماعيل بن الأحمر: بيوتات فاس الكبرى دط. دار المنصور للطباعة والوراقة- الرباط 1972. ص250.

[2]- المرجع نفسه، نفس الصفحة.

لقد شجع أمراء الدولة المرينية على طلب العلم، إيقانا منهم أنه السبيل الأمثل للتطور والازدهار، فكافؤوا العلماء، وخصوهم بالمراكز السامية تشجيعا وإكراما لهم.

ولعل ما ساهم في هذا الازدهار والرقي الثقافي هو الاستقرار السياسي أولا الذي ساد فترة مهمة[1] من الحكم المريني، ضف إلى ذلك أن الحكام المرينيين كان لهم مستوى علمي عال، فحرصوا شخصيا على نشر العلوم وشجعوا العلماء إلى جانب انتشار المدارس والمساجد وتعميم نظام المكتبات، وما حُبِس في بطوتها من كتب نفسية ومصنفات مفيدة، وكذا انفتاح بيئتهم على الشرق والأندلس[2] التي جاءها علماؤها أفواجا أفواجا.

انطلاقا ممّا سبق نخلص إلى أنّ الحفصيين و الزيانيين و المرينيين ساروا على خطى أسلافهم، و ما وصل إليهم من علوم ما هو إلاّ غيض من فيض.

[1]– الحسن الشاهدي، المرجع السابق، ص28.

[2]– المرجع نفسه،ص22.

الفصل الأول

التّصوّف وخطاب الرحلة في القرنيين السابع والثامن الهجريين

أولا: التّصـــــــــــوّف

تنقسم الشريعة عند المسلمين الى قسمين : علم ظاهر وهو الفقه وحامله يسمى بالفقيه، وعلم باطن ويعرف بفقه القلوب أو علم الأخر أو التصوف وممارسه يسمى الصّوفيّ[1].

1.تعريف التّصوّف

1.1 لغة : لا يستطيع الباحث في معنى التصوف الظفر بتعريف جامع لها، حيث تعددت المصادر التي اشتقت منها كلمة الصوفية.وقد ذكر بعض العلماء أن تلك التعريفات قد تصل إلى الألفين. يقول محمد طاهر الحامدي : " الأقوال المأثورة في التصوف قيل أنها زهاء الألفين[2]".

تصوّفَ يتَصوفٌ تصوّفًا فهو متصوّف، تصوّف الشخص أي صار صوفيا، واتبع سلوك الصوفية وحالاتهم أو لبس الصوف [3].

فأصل كلمة التصوّف مصدر لفعل خماسي مصوغ من صوف، للدلالة على من لبس الصوف، ومن تم كان المتجرّد لحياة الصوفية يسمى صوفيا يقول ابن خلدون : ولا يشهد لهذا الاسم اشتقاق في اللغة العربية ولا قياس " [4].

كما أنّ هنالك من أرجعه إلى لبس الصوف، ورده البعض إلى الاسم اليوناني (صوفيا)

---

[1] أبو بكر محمد الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، تحقيق عبد الحليم محمد طه، عبد الباقي سروك، دار الإحياء الكتب العربية ،القاهرة، 1900، ص 24 .

[2] https://mfacebook ;com 14/05/2023

[3] عبد الرحمن بلاغ، التيارات الصوفية في الغرب الإسلامي في العصر الوسيط 2022/2021، جامعة تيارت كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ص 16.

[4] أنظر مقدمة ابن خلدون، المقدمة دط، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1167، 458.

وتعني الحكمة لكن بالرجوع إلى المعاجم، وُجِد أنّ أصل التصوف مشتق من كلمة (صوف) وهو للشاة. [1]. وهذا ما ذهب إليه الجوهر في قوله:" الصوف للشاة و الصوفة أخصّ منه"[2].

كما جاء في معجم الصّحاح يقال (صوف) نبات ظهر عليه م ايشبه الصوف فالتصوف هو طريقة سلوكيه تقوم على التقشّف والتّحلي بالفضائل.

أمّا علم التصوف :فهو مجموعة مبادئ يعتمدها المتصوّفة في خلواتهم ومجتمعاتهم، والصّوفي هو من يتبع طريقة التصوف والعارف بالتصوف [3].

وعليه نستنتج أن التعريفات تعددت واختلفت فاقتصرنا على ذكر القليل منها.

2.1/اصطلاحا:

تباينت مفاهيم التصوف انطلاقا من منطلقات أصحابها وعقائدهم وتصوراتهم في هذا المجال، فقد عرفه ابن خلدون بأنه:" العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيه، مما يقبل عليه الجمهور من لذة، ومال وجاه، والإنفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة "[4].

– أما السيوطي فقد عرّفه بأنه : تجريد القلب لله تعالى واحتقاره ما سواه، ثم يبين السيوطي، أنه عرف التصوف ولم يعرف علم التصوف، لأن صاحبه أحوج إلى خدمته.

---

[1] سلمى بن حنى، صلاح الدين هدوس، التصوف في المغرب الأوسط زمن الموحدين، مجلة الإحياء المجلد 2، العدد 31، جوان 2022، ص 767–780.

[2] ابن منظور : لسان العرب دار المعارف ، د ط مج 4، ج 27 مادة صوف، ص 27، ص 28.

[3] خديجة سلطانية، تجليات التصوف في رحلة ابن قنفذ القسنطيني، أنس الفقير وعز الحقير، مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص أدب جزائري، جامعة 08 ماي 1945، ص 2017 –2018، ص 05.

[4] عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ العلامة ابن خلدون، مج1، ط2، بيروت، 1961م، ص 683.

وعرف حاجيّ علم التصوف بأنّه :" علم يعرف به كيف يرقي أهل الكمال من النوع الإنساني في مدارج سعادتهم والأمور العارضة لهم في درجاتهم بقدر الطاقة البشرية [1].

وهناك من يرى أن التصوف هو التسليم لله بالكلية، أي أن تكون مع الله بلا علاقة، وهناك من يرى التصوف في صفاء الخلق ومنهم من يختصره في الزهد والتقوى والتطلع لدار الخلود [2].

ومن هنا نستنتج أن التصوف تجربة شخصية قائمة بذاتها، هدفها الوصول إلى الروحانية.

2/ الحياة العامة للتصوّف في الغرب الإسلامي :

تعود جذور التصوّف في الغرب الإسلامي إلى القرن الثالث الهجري، حيث برزت حركة الزّهد بشكل واضح ومثّلها " سيدي قدور" [4]الذي اتخذ من جبل وهران مكانا للتعبُّد ثم أخذت الحركة تتوسع شيئا فشيئا وعرفت تطورا هامّا ابتداء من القرن " السادس الهجري" ، وقد ظهرت حركة التصوف نتيجةً لعدة عوامل نذكُر منها : حياة البذخ والاستمتاع لدى الفقهاء والمرابطين وكذلك عن طريق تواصلهم بالمشرق من خلال الرحلات العلمية والحج، إضافة إلى مساهمة الدولة الموحّدية والتأثير الأندلسي وانتشار الرباطات " ،كما تهيأت بلاد المغرب لقبول الفكر الصوفي ،فظهرت طرق صوفية منها ماهو نابع من السلوكات اليومية،ومنها ما هو عبارة عن تيارات فكرية، صوفية، مشرقية وأندلسية وهذه التيارات : تيار التصوف السني، تيار التصوف السني الفلسفي، تيار التصوف الفلسفي [3]، كما برز مشايخ

[1] محمد الزخيلي، تعريف عام بالعلوم الشرعية، دار الكوثر للنشر والتوزيع الجزائر، د ط، دس ن ص 183.

[2] عبد الرحمن بلاغ، التيارات الصوفية في الغرب الإسلامي في العصر الوسيط 2021 /2022، جامعة بشار، كلية العلوم الإنسانية، ص 14-15.

[3]الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر خلال القرن 817 هـ – 2008/13/12 –2009 م، إشراف عبد العزيز فيلالي، دار الهدى للطباعة والنشر عين مليلة، الجزائر، 2004، ص 103.

وعلماء اعتنقوا التصوف كطريقة سلوكية. ومن بين هؤلاء العلماء الذين كانت لهم إسهامات علمية في علم التصوّف وغيرها من العلوم نجد ابن قنفذ القسنطيني وعبد الرحمن الثعالبي[1].

3/ التصوف في بلاد المغرب الأوسط :

يعتبر علم التصوف من العلوم الحديثة في الشريعة الإسلامية [2]، وقد دخل التصوف إلى بلاد المغرب العربي من خلال العبّاد والزهاد، ولكنه لم يعُرَف كعِلْم إلا في زمن الموحدين، ثم بعدها شهد انتشارا واسعا حتى انه لجأ بعض الحكام إلى الاستعانة بهم، ممّا جعل الكثير يعتنق الصوفية وقد قدموا تضحيات وخدمات جليلة سواء من ناحية السلوك أو الإنتاج العلمي أو الجانب الروحي.

كانت بداية التصوف في بلاد المغرب الأوسط تجربة ذاتية روحية واتجاها فكريا [3]ثم أخذ ينتشر في الأوساط الشعبية عند العامة والخاصة، فظهر التصوّف السنيّ المختلط بالفقه في الكثير من المناطق كتلمسان وقسنطينة وغيرها. والتصوف الفلسفي عند النّخبة كما هو الحال في بجاية، ثم أخذت الصوفية تنتشر طرقا واتجاهات، أهمها "القادرية والشاذلية والنقذشندية والدسوقية.... ويمكننا القول أن الحركة الصوفية ظهرت للعيان وانتشرت ونشطت منذ أن حلّ أبو مدين شعيب بن الحسن الأندلسي التلمساني ببجاية في القرن 6 هـ. وتميز في البداية بالتوفيق بين الشريعة والحقيقة حيث يقول ابن قنفذ داعيا للجمع بينهما " فإن الأصل

[1]أقدوش ماضوي، بن بوزيان عبد الرحمن، إسهامات متصوفة المغرب الأوسط العلمية ،إبن قنفذ والثعالبي نموذجا ، مجلة الفكر المتوسطي، المجلد 12، العدد : 01، (2023، ص 565-622) جامعة، سكيكدة،20أوت1955، ص 120.

[2]ابن خلدون، المقدمة ص 553.

[3] أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، دار الكاتب، طرابلس، ط 2، 2000، ص 191.

البدء إلى الهداية بكتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه السلام، والتعاون على ذلك أعلى يدا من الأشياخ المهتدين المتعلمين"[1].

4/التعريف بابن قنفذ و التّصوّف على عهده :

تعددت تعريفات ابن القنفذ، ولعلّ أهمّها ما صدرت عنه شخصيا، فقد حرص على التعريف بنفسه، وذكر حياته وعلاقاته ورحلاته من خلال كتبه، كأنس الفقير وعز الحقير وغيرهما.

هو أبو العبّاس أحمد بن حسن الخطيب بن علي الخطيب بن حسن بن علي بن ميمون القسنطيني (نسبة لقسنطينة) [2]. من أسرة مالٍ وجاهٍ وعلمٍ، لُقِب بابن الخطيب.

ولعله ولد حوالي أربعين وسبعمائة(740هـ)، وهذا من خلال أبيات ربما كتبها حوالي ثمانمائة(800هـ) يقول فيها :[3]

مضت ستون عاما من وجودي وما أمسكت عن لعب ولهو

وقد أصبحت يوم حلول إحدى وثمانية على كسل ولهو

فكم لابن الخطيب من الخطايا وفضل الله شمله يعفو

[1]ابن قنفذ، أنس الفقير وعز الحقير. تح محمد الفاسي وأدولف فور. منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي مطبعة أكدال،الرباط. 1965. ص 61.

[2] عمر فروخ، الأدب العربي في المغرب والأندلس ج 6، د، ط، دار العلم للملايين بيروت، لبنان، دس، ص 610.

[3] أحمد بابا التنبكي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، دط، دار الكتب العلمية، لبنان، 1971، ص 76.

بعدما توفي والده سنة 750 هـ عام الوباء [1] كفله جده من أمه " يوسف الملاري " وكان هذا الأخير من مشاهير الصّوفية [2]. ولمّا بلغ التاسعة عشر من عمره، شدّ الرحال إلى المغرب الأوسط، ثمّ الأقصى على عكس أبناء عصره في ذلك الوقت، والّذين كانوا يختارون تونس والمشرق، وقد تلقى العلوم على يد خيرة علمائها منهم الشّيخ الفقيه أبو زيد عبد الرحمن اللجائي(ت 773هـ)و أبو القاسم بن أحمد السّبتي (ت760هـ) والشّريف التّلمساني وأبو عبد الله محمّد بن عليّ (ت 771هـ) وأبو عمران هوسي الغبدوسي (ت776هـ)، وقد لازمهم ابن قنفذ و تشبّع بمختلف العلوم وهو بفاس، كما زار قبر أبي يعزى سنة 761هـ وهو بمراكش، وهو أحد شيوخ أبي مدين. وكان ممّا دفع الكثير من النّاس لزيارتههوالتّأكد من صحّة كرامته.

ما يلاحَظ أنّ التّصوّف كان موجودا في الدّويلات الثلاث، فالتّزاوج الفكريّ والعلميّ واضح والتّواصل الثّقافي مستمرّ بين الأسر من مختلف هذه الدّويلات الثّلاث، على سبيل المثال لا الحصر كأسرة ابن قنفذ وابن باديس.

تأثر ابن قنفذ بطريقة أبي مدين شعيب تأثرا كبيرا، فقسنطينة انفتحت على زاوية العَبّاد بتلمسان، من خلال يعقوب بن عمران يوسفي الذي كان تلميذا لدى مسعود بن عريف أحد أصحاب أبي مدين، والذي كان الملاري أحد تلامذته، فورث عنه هذه الطريقة، وقد نصحه ابن مسعود بالعودة لبلده، وبناء زاوية فيها، تكون منارة للإشعاع الصّوفي السني[3]وفعلا حصل ذلك بعد بناء زاوية ملارة بفرجيوة، وهي التي يُنسَب إليها. وتجدر الإشارة أيضا إلى

---

[1] ابن قنفذ، أنس الفقير ص 47.

[2] الحسن الشاهدي،أدب الرحلة بالمغرب بالعصر الديني، الجزء الثاني، منشورات عكاظ،دس ن، دم ن – 1–، ص328.

[1] د. العبد العزيز فيلالي، جامعة منتوري، قسنطينة، مجلة أفكار وأفاق، الصلات الثقافية بين تلمسان وقسنطينة، العدد 3، (جانفي – جوان)، 2012، ص9.

أنّ أبا مدين شعيب مكث في بجاية نحو خمس عشرة سنة، ورّثَ فيها جيلا من المتصوفين تتلمذوا على يده مباشرة، أو على يد تلاميذه.

كان الملاري جد ابن قنفذ دائم الترحال لضريح أبي مدين بالعَبّاد بتلمسان، حتى أنّ العبّاس ابن مرزوق [1] أعطاه جزءا من عكّاز أبي مدين كعربون لهذا الوفاء الرّوحي، وبحكم زواج ابنته من حسن بن قنفذ، فقد كان دائم التنقّل بين ملارة وقسنطينة.

لقد حظي الملاري بسمعة ومكانة مرموقة بين العلماء والحكام في قسنطينة وبجاية وتونس وتلمسان، فتأثر ابن قنفذ بطريقة جده أيّما تأثير.

و إنْ كان ابن قنفذ قد تأثر بجده، فليس هذا هو العامل الوحيد فقط، بل هناك عوامل أخرى ساهمت في صقل شخصيته ونبوغه الفكري، فهو كان على صلة بشيوخ بلده كالحسن بن خلف الله بن حسن وابن باديس القيسي القسنطيني (ت 784 هـ) وغيرهما.

كما أنه وبسبب المجاعة التي اجتاحت المغرب الإسلامي، اضطر للبقاء في تلمسان مدة طويلة تشبعّ من خلالها بالمجالس العلمية والصّوفية التي تقام بتلمسان وشارك فيها [2].

بعد هذه الرحلة عاد ابن قنفذ ليؤلف ويدوّن ما تلقاه من علوم وفوائد [3]، وحظي بمكانة رفيعة لدى بني حفص، إذ اشتغل بالإمامة والخطابة كما تقلّد منصب القضاء بقسنطينة والإفتاء والتدريس.

– توفي ابن قنفذ في سنة 809 هـ حسب ما ذكره الزكرشي أو ربما في سنة810 هـ كما ورد في وفيات الونشريسي [4]، بعدما ألمَّ بفنون كثيرة في الفقه والحديث والتصوّف والفلك

[2] ابن مرزوق، هي الأسرة القائمة على ضريح أبي مدين الغوت ومن خطاب مسجد العباد.

[2] أنس الفقير، ص 18.

[3] المرجع نفسه، ص 21.

[4] الحسن الشاهدي، المصدر السابق، ص 331.

والمنطق والتاريخ وغيرها. ممّا يجعلنا نقول عن هذا العالم أنّه موسوعة زمانه، إذْ ذكر في أخر كتاب له. " شرف الطالب في أسمى المطالب" سبعة وعشرين تأليفا، ناهيك عن كتب أخرى ذُكرت في نيل الابتهاج لم تذكر في كتابه [1].

يعتبر العصر الذي عاش فيه ابن قنفذ عصر إنقاذ وانتعاش للدولة الحفصية[2]كما أنّ هذه الأخيرة انقسمت إلى شرقية وغربية سنة 683هـ/1187م، وقد استمرت في الانقسام ثلاثة قرون، كما شهدت العلوم تطورا كبيرا بين الدويلات التي كانت تحكم المغرب، وهي المرينية (المغرب) الزيانية (المغرب الأوسط) الدولة الحفصية (المغرب الأدنى).

ونتيجة لهذا التمازج الفكري والثقافي نبغ ابن قنفذ في قسنطينة ثم رحل الى المغرب باعتبارها منارة العلم والتعلم، ثم إلى تونس في رحلة تعليمية، ممّا سمح له بالتأليف شتى العلوم وبما أنه قسنطيني المنشأ، فقد ظهر التصوف في قسنطينة، كغيرها من الحواضر على أنه تجربة ذاتية واتجاه فكريّ، وكان الإقبال على دراسته كبيرا، وقد حظي شيوخه بتقدير خاص. لذلك لا نجد اختلافا بين الفقهاء حول علم ظاهر وعلم باطن.وقد انتشر التصوف في الأوساط الشعبية وعند الحكام، فاستحوذ على عقولهم وأفكارهم خلال القرن السّابع الهجري، كما أن علماء المغرب الأوسط كانت لهم زيارات متبادلة فيما بينهم في ميادين عدة، وخاصة في ميدان التصوف [3].

– تأثر ابن قنفذ بالزاوية الملارية بالطّريقة المدينية(أبو مدين شعيب)، بحكم أنه مكث نحو 15 سنة ببجاية، كما أنّه تأثر بجده يوسف بن يعقوب سالكا طريقه الصوفي، الذي كان

[1] الحسن الشاهدي، المرجع السابق، ص. ن.

[2] ابن قنفذ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق عبد المجيد التركي، محمد الشاذلي،د ط دار التونسية للنشر، 1968، ص 22.

[3]التنبكتي نيل الابتهاج، ص 460.

كثير التردد على العباد في تلمسان في غدوه ورواحه ورحلاته المتعددة إلى سلا وفاس وأغمات ودكالت ففي كل رحلة إلا وزار ضريح أبي مدين شعيب [1]

مما سبق يمكن الجزم بأن النّسق الصوفي لابن قنفذ كان أولا نتيجةً للنشأة التي اكتسبها منذ نعومة أظافره على يد والده أولا الذي كان صوفيا، ثم جدّه، ثم على أيادي ثلة من علماء قسنطينة ثم أن رحلاته الّتي قادته إلى فاس وتلمسان وتونس زادته تمرّسا، فتشبّع من أسلافه، فكان تصوّفه امتدادا لهم وإثراء للصّوفية بشكل عام، كما اهتم بالتصوف السّلوكي، وهو الذي يعنى بالجانب التربوي والإرشادي[2] ويهتمّ بالجانب الروحي، وسعى الى تزكية النفس بمراقبتها سرا وعلانية.

[1] عبد العزيز فيلالي، الصلات الثقافية والفكرية بين تلمسان وقسنطينة. ص 10.

[2] نور الهدى الكتاني، الأدب الصوفي في المغرب والأندلس في عهد الموحدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008 ،ص 10.

[4] محمد حجي، موسوعة أعلام المغرب، ج 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996، ص 09.

ثانيا: خطاب الرحلة وأثره في الغرب الإسلامي:

1-الخطاب:

يتواصل الإنسان مع غيره بواسطة مجموعة من الجمل المترابطة، والتي تعبر عن فكرهو موضوعاته سواءا لفظيا أو كتابيا، وهنا ما يسمى الخطاب، فقد نال هذا الأخير تعريفات كثيرة ، ولعل أهمتها ماورد في لسان العرب لابن منظور.

1.1 الخطاب – لغة-:

خطب: الخطب: الشأن أو الأمر: صغر أو عظم وقيل هو سبب لأمر، يقال ما خطبك؟ أي ما أمرك ؟ ونقول خطب جليل، وخطب سير والخطب الأمر الذي تقع فيه المخاطبة والشأن والحال ومنه قولهم: جل الخطب أي عظم.

فأما الخطب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقدخاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، وهما يتخاطبان، يقال خطب فلان إلى فلان، فخطبه وأخطبه أي أجابه.

فأما الخطب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، وهما يتخاطبان.

يقال خطب فلان إلى فلان، فخطبه وأخطبه أي أجابه.

ويقال الخطبة مصدر الخطيب، وخطب الخاطب على المنبر واختطبه، يخطب خطابة واسم الكلام خطبة.

ورجل خطيب حسن الخطبة وجمع الخطيب خطبا[1].

ابن منظور، لسان العرب، الجزء الأول (بيروت: دار الصادر، طبعة1، 1990) مادة: خطب ص 360. [1]

خطب الناس وفيهم وعليهم خطابة ألقى إليهم خطبة – وفلانة خطبا.

وخطبة: طلبها للزواج ويقال: خطبها إلى أهلها: طلبها للزواج وكذا طلبه منه.

ويقال: خطب وده فهو خاطب (ج) خطاب وفي المثل خطب خاطب فتزوج "

خطب، خطبا، وخطبة: كان في لونه خطبة فهو أخطبه هي خطباء (ج).

خطب، أخطب، خطب وفلانا: أجاب إلى خطبته والشيء فلانا: دنا وأمكنه ويقال أخطبه الصيد.

(خطبه) أخطبه في الحديث " أنه لحر إن خطب أن يخطب ".

والكلام المنثور يخاطب به متكلم فصيح جمعا من الناس لإقناعهم ومن الكتاب صدره (ج) خطب.

الخطاب: وصف المبالغة لكثير الخطبة.

(الخطابية) طائفة من الشيعة رافضة منسوبة إلى " أبي الخطاب الأسدي " وهم يجوزون أن يشهدوا على من خالفهم بالزور لمن يعتقد نحلتهم[1].

2.1الخطاب في القرآن الكريم:

ورد الخطاب سواء بلفظه أو مشتقاته في أكثر من موضع في القرآن الكريم منها:

– قال تعالى:"وَلَا جُنَاحَ عَلَيكُم فِيمَا عَرَّضتُم بِهِۦ مِن خِطبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَو أَكنَنتُم فِيٓ أَنفُسِكُم عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُم سَتَذكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَولا مَّعرُوفا وَلَا تَعزِمُواْ عُقدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبلُغَ ٱلكِتَٰبُ أَجَلَهُ وَٱعلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُم فَٱحذَرُوهُ وَٱعلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ

[1]المعجم الوسيط،مجمع اللغة العربية،الجزء الأول، (تركيا: المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، ط3، 1960) مادة: خطب، ص 243.

خَلِيم "[1]وخطبة النساء (بكسر الخاء) فعل خاطب من كلام وقصد واستلطاف بفعل أول قول يقال خطبها خطبة ورجل خطاب كثير التصرف في الخطبة[2].

– قال تعالى: "وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ"[3] أي لا تطالب إمهالهم فإني مغرقهم.

– قال تعالى:"قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ"[4]أي فما شأنكما وقصتكم أيها المرسلون الذين أرسلتهم لأجله سوى البشارة، ولعله علم أن الجمال المقصود ليس بالبشارة. لأنهم كانوا عددا والبشارة لا تحتاج إلى العدد، لذلك اكتفى بالواحدة في بشارة زكرياء ومريم – عليهما السلام– لأنها بشرة في تضاعف الحال لإزالة الوحل ولو كانت تمام المقصود لابتدعوا لها.

– قال تعالى: " قَالَ فَمَا خَطۡبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ " [5]أيما أمرك وما شأنك، وما الذي حملك على ما صنعت ؟.

– قال تعالى: "إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ"[6]

أما عزني في الخطاب أي غلبي في مخاطبته أياي محاجة بان جاء بالحجاج لم أقدر على رده، أو في مغالبته أياي في الخطبة، يقال خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبني حيث زوجها دوني، وقرئ وعازاني أي غالبني.

---

[1] سورة البقرة الآية 235.

[2] أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري – هشام صحيح البخاري، الجامع لأحكام القرآن (بيروت: دار الأحياء للثرات العربي، ط2، 2002) ص 187.

[3] سورة هود الآية 37.

[4] سورة الحجر الآية 57.

[5] سورة طه الآية 95.

[6] سورة ص الآية 23.

3.1 / الخطاب اصطلاحا:

الخطاب من أكثر المواضيع المهمة التي نالت اهتمام المفكرين والدارسين حيث اختلفت تعريفاتهم من حيث الاصطلاح. فهو رسالة لغوية يبعثها المتكلم إلى السامع والكاتب إلى المتلقي فيفك رموزها. وعلى هذا عرفه كمال عمران في قوله:

" يعتبر الخطاب من أبرز الظواهر التي تحدد الاتصال وتضبط بنية التعبير وتحدد الأهداف المنشودة، وهو يحظى في اللغة العربية بقدر كبير من العناية لأنه يخرج الدراسة من الانطباع إلى التفكيك وحتى أداة الاتصال إلى التنبيه كما يحيط بها من مشكلات"[1].

واستنادا لما سبق يكون الخطاب كل مجموع لغوي به معنى أو غير ذلك يشكل من الرموز وعلامات شفوية، أو ثنائية أو بصرية من حيث الهدف إلى تبليغ رسالة معينة وهذا يفترض وجود طرفين تجرى بينهما العملية الإبلاغية.

وهذه العملية لا تتم إلا عن طريق اللغة، ولا تتحقق إلا إذا كان المستمع يملك القدر الكافي الذي يمكنه من فهم الرسالة الموجهة إليه والخطاب أيا كان يرتبط بقرائن لغوية معينة، يفترض أن يكون المتلقي –سواء كان سامعا أو قارئا –عالما بها.

2/ ماهية الرحلة وأنواعها:

الرحلة فعل وُجِد مع الإنسان به تضفي حوائجه ومصالحه من خلالها تطورت حياته، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم في سورة قريش ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ٤﴾[2]فالعرب عرفوا الرحلة قديما، فكانت رحلاتهم تجارية، نحو الشام، ورحلة سيدنا موسى مع الخضر كانت لطلب

[1] مصطفى عبد السميع محمد وآخرون، الاتصال والوسائل التعليمية، (القاهرة: قراءات أساسية للطالب، د. ط، 2003) ص 26. 3

[2]– سورة قريش، (4، 1).

العلم[1]. ورحلات المسلمين كل سنة نحو مكة لتأدية ركن عظيم وهو الحج، كما وعرف العرب قديما رحلات إلى القدس، فهي أولى القبلتين، ومهبط ومدفن الكثير من الأنبياء، كما شدوا الرحال نحو دار الحديث الأشرفية بدمشق، إضافة إلى رحلات أخرى، كالرحلات الصوفية التي سموها بالسياحة الصوفية، يبحثون فيها عن شيخ، يأخذون عنه طريقته، ويتبركون بلقائه ويسعدون بدعواته، والرحلات الجهادية التي كانت وليدة لأوضاع مستجدة ونتيجة حتمية، لتدافع عن الإسلام والمسلمين،

إلى جانب الرحلات السياحية التي تكون لغرض الترويح عن النفس وغيرها.

وعليه فأنواع الرحلات تختلف باختلاف مضمونها وغاياتها.

يقول الإمام الشافعي رحمه الله في ديوانه[2]:

تغَرَّب عَنِ الأَوطانِ في طَلَبِ العُلا وَسافِر فَفي الأَسفارِ خَمسُ فَوائِدِ

تَفــرُّجُ هَــمٍّ وَاِكتِساب مَعيشَــة وَعِلمٌ وَآدابٌ وَصُحبَــةُ ماجِـدِ

وَإِن قيلَ في الأَسفار ذُلّ وَمِحنَةٌ وَقَطعُ الفَيافي وَاِكتِسابُ الشَدائِدِ

فَمَوتُ الفَتى خَيرٌ لَهُ مِن حَياتِهِ بِــدارِ هَوانٍ بَينَ واشٍ وَحاسِــد

3) الخطاب الرحلي:

يعتبر الخطاب المسلك أو القناة التي تمر عبرها الرحلة، لتصل إلى القارئ، ويرد هذا الخطاب في نص، فيحافظ هذا الأخير على انسجامه وتسلسله، فنجد أن النص " لا يحمل

[1]– القصة، وردت في سورة الكهف.

[2] ديوان الشافعي ، الجوهر النفيس في شعر الإمام محمد ابن إدريس ، د.ط مكتبة ابن سينا للنشر مصر د.س.ن، ص 61.

أي صفة سوى أنه حامل للخطاب، بينما الخطاب هو المسند إليه"[1].

والراوي في نص الرحلة يمثل في الوقت نفسه شخصية الرّحالة، فيرصد العالم الخارجي، والمواقف والانفعالات.

" تؤسس الرحلة خطابا بإعادة إنتاج الفعل إلى ملفوظ" [2]. فالرحلة هي فعل، بلّغه الراوي (المرسل) إلى القارئ (المتلقي)، وقد اشترك في هذه العملية مجموعة من الأشخاص، جمع بينهم السفر، معتمدين من خلاله على مشاهدة ما يحيط بهم، وما عاشوه من أحداث، مستخدمين في ذلك السرد الذي حوّل تلك الأفعال التي قام بها الرحالة إلى خطاب، فالرّحالة هو اللّبنة الأساسية التي تبنى عليها الرحلة، فكل الأحداث متعلقة به، وكل الأدوار مسنَدة إليه، لذا لا بد ان يمرر رسالته السردية بإتقان حتى يدفع القارئ أو المستمع إلى سماع المزيد، ويعتمد الراوي في نقل رسالته على التقرير والإخبار من جهة، ووصف الأماكن من جهة ثانية، فالعلاقة بين السرد والوصف علاقة متكاملة يتحكم في أحداثها الراوي (الرّحالة).

4) دوافع الرحلة في الغرب الإسلامي

1.4.الدافع الديني:

عرف المغرب عامة نهضة روحية غير مسبوقة خلال القرنين السابع والثامن الهجريين، وبدت المقاييس الدينية متحكمة في كل مناحي الحياة. فطغى الزهد على المجتمع، فأصبح الدين هو المقياس والمعيار الذي تُحدَّد به الأشياء وتوزن، فالاحتفال بالمولد النبوي الشريف مثلا أخذ منحى آخر، إذ كانت تتعطل فيه المصالح الرسمية، ويُنشَد فيه الشعر في مجالس رسمية، كما أنه لم يبق مقتصرا على يوم واحد فقط، فاحتفلوا بليلة

[1] عيسى بخيتي، أدب الرحلة الجزائري الحديث سياق النص وخطاب الأنساق أطروحة دكتوراه علوم في الادب الجزائري الحديث 2016/2015، ص63

[2] المرجع نفسه، ص 64.

السابع منه[1]. وكان أول من احتفل من المرينيين به هو أبو يوسف يعقوب، إذ كانت تشد الرّحالة من مكان لآخر ليعيش الناس أجواء الاحتفال به.

إلى جانب شيوع التصوف وانتشار الطرق الصوفية ـفالمتصوفون رحلوا من مكان لآخرـ للبحث في ماهية التصوف وتعلم طرقه، ومن دوافع الرحلة أيضا نسخ المصحف وإرساله إلى المساجد[2] سواء كانت في الشرق أو الغرب.

2.4.الدافع العلمي:

طلب العلم دافع قوي، اجتاز الرحالة لأجله الفيافي، وركبوا الصعاب، تربطه مع الدافع الأول(الديني) علاقة تكامل، فهو نتيجةٌ له، إذ سافر العلماء بحثا عن فائدة أو رجاء لقاء عالم أو رغبة في تصحيح مسألة[3]، فرحلة العلم دفعت بابن تومرت إلى الاغتراب والسير في أرض الله، متنقلا من مكان لآخر إلى أن انتهى به المقام ببغداد[4]. يقول ابن خلدون في مقدمته :«الرحلة لا بد منها في طلب العلم، لاكتساب الفوائد، والكمال بلقاء المشايخ، ومباشرة الرجال»[5].

وهناك من شدّ الرحال بعدما عجز عن حل مسألة، وأخفق في حوار ما، كالإمام صدّيق بن محمد نغل، الذي سافر إلى تنبكت بعدما تبين أنه أخطأ في مسألة فقهية، نبهّه إلى ذلك أحد طلبته الذين درسوا على أيادي علماء تنبكت. قال «صورة هذه المسألة ليست

---

[1]– التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج. ط2. 2000، منشورات دار الكاتب طرابلس ص139.

[2]– الحسن الشاهدي، المرجع السابق، ص67.

[3]– المرجع السابق، ص78.

[4]– ينظر: دائرة المعارف الإسلامية ج1. نقلها إلى العربية محمد ثابت الفندي وأحمد الشناوي عبد الحمد يوسف ابراهيم زكي خو رشيد. مكتبة: أ. د حسين هيكل ص116–118.

[5]–مقدمة ابن خلدون. ط1. تح : عبد الله الدرويش. توزيع دار يعرب دمشق ج1. 2004. ص541.

هكذا على ما سمعت من الفقهاء في تنبكت، فقال الشيخ: وماهي: فقال: كذا وكذا، فقال الشيخ: ضيّعنا عمرنا باطلا، وارتحل إلى تنبكت رحمه الله تعالى»[1].

ولقد أولى الرحالة المغاربة والأندلسيون: الجانب العلمي أهمية كبيرة، فعلى سبيل المثال لا الحصر ابن جابر الوادي آشي[2] الذي جعل رحلته موسوعة علمية، وإسهاما حقيقيا سجل من خلالها الأدبيات وتراجم العلماء وأسماء كتب مشهورة في ذلك الوقت[3]، هذه الأخيرة كادت تضيع لولا عنايته بتسجيلها، وقد نهل من علماء كثيرين من مختلف البقاع، ولما عاد لتونس كانت له مكانة مرموقة، اكتسبها بفضل رحلاته التي قادته تارة إلى المشرق العربي، وتارة أخرى إلى المغرب والأندلس أين رافقه في رحلته تلميذه ابن مرزوق الخطيب إلى بجاية وقسنطينة وتلمسان وفاس، وواصل ابن جابر رحلته إلى شمال المغرب فدخل طنجة ثم إلى الأندلس ثم إلى غرناطة[4]. وقد وصفه ابن الخطيب قائلا «الراوية المحدث المكثر الرحال[5]. ووصفه الذهبي بالفقيه المقرئ المحدث الرحّال[6]. ورحلة العبدري التي تعد وثيقة هامة تعبر عن الحياة الثقافية أواخر القرن السابع الهجري والتي كان لها سببان، الأول أداء فريضة الحج، أما الثاني فتمثل في الرغبة في الالتقاء بالعلماء والمشايخ والأخذ عنهم، كما تحدث

---

[1]– أبو عبد الله الطالب محمد بن أبو بكر الصديق، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور. ط1. تح: محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حمي، دار الغرب الإسلامي. بيروت. لبنان 1981.

[2]– ابن جابر الوادي آشي (673هـ/749م) (1275م–1348م) هو أبو عبد الله محمد بن جابر بن محمد بن قاسم بن أحمد بن ابراهمي بن حسان القسي والوادي آشي نسبة لواد آش بالأندلس.

[3]– عراف محمد يوسف نواب. الرحلات المغربية والأندلسية. مطبوعات مملكة الملك فهد الوطنية. الرياض (1417هـ– 1996م) ص73.

[4]– برنامج ابن جابر الوادي آشي. شمس الدين محمد بن جابر الوادي آشي التونسي (ت749هـ) تق/تح: محمد الحبيب هيلة. جامعة أم القرى– كلية الشريعة والدراسات الاسلامية. مكة المكرمة (1401هـ–1981م) ص14.

[5]– المرجع نفسه ص23.

[6]– المرجع نفسه ص.ن .

عن المناطق التي مر بها، وتُعد هذه الرحلة رحلة هامة، فالتنبكتي صاحب نيل الابتهاج، نقل كثيرا من التراجم عنها»[1]

كما نقل عنها السراج في كتابه: «الحلل السندسية في الأخبار التونسية»[2] وقد قام أبو العباس بن قتفذ القسنطيني باختصارها بعنوان «المسافة السنية في اختصار الرحلة العبدرية»[3].

ويقول في رحلته عن تلمسان: «أما العلم فقد رسّ رسمه في أكثر البلاد»[4].

وعن بجاية يقول: «ثم وصلنا إلى بجاية مبدأ الاتفاق والنهاية»، وفيها التقى الشاطبي يقول: «لم أر من أهل الشيمة الفضلى والطريقة المثلى، مثل الشيخ الفقيه الخطيب الصالح، الراوية أبي عبد الله محمد بن صالح بن أحمد الكناني الشاطبي»[5].

وعند ذهابه لقسنطينة التقى بالشيخ أبي علي حسن بن بلقاسم بن باديس يقول: «هو شيخ من أهل العلم، يذكر فقها ومسائل، ذو سمة وهيئة ووقار، ثم ارتحل إلى تونس " مطمح الآمال...ومحط الرحال من الغرب إلى الشرق»[6] وهو كذلك حتى وصل إلى أرض الرحمين ورحلة بن رشيد الفهري السبتي، مستفاد الرحلة والاغتراب والذي صال وجال هو الآخر مشارق الأرض ومغاربها، ومن أهم المدن التي زارها الأندلس، غرناطة، المرية، إشبيلية، الجزيرة الخضراء، والمغرب وسبتة ومراكش وفاس وتلمسان وبجاية وبونة وطرابلس وغيرها فيقول عن فاس: «كانت بالإضافة إي ذلك مدينة علم ودين، وكان بها عدد كبير من

[1]- أبو عبد الله العبدري. رحلة العبدري تح: علي ابراهيم كردي/تق: شاكر الفحام ط1: 1999، ص10.

[2]- انظر: أبو عبد الله محمد الأندلسي. الحلل السندسية في الأخبار التونسية. ط1-مطبعة الدولة التونسية 1287هـ ص245، 246، 247، 256، 667.

[3]- رحلة العبدري، ص 17.

[4]- المرجع نفسه، ص82.

[5]- المرجع نفسه ص84.

[6]- المرجع نفسه ص95.

الطلاب، يدرسون اللغة العربية والعلوم الإسلامية، وكان الكُتّاب بها يبرزون في نظم الشعر وتدوين التاريخ والتأليف في الدين والشريعة. ويقول المتصوفة إلى جانب علماء السنة بالحفاظ على شعلة قوية للحياة الروحية»[1] وفي زيارته لتلمسان يقول: «كان يغمراسن قد أقام فيها حصونا منيعة في هذا العهد، واشتهرت بعلمائها، وفقهائها الذين رحلوا إلى الأندلس والمغرب»[2]، أما عن بجاية فيقول: «قد عرفت هذه المدينة في القرن السابع ازدهارا عظيما...وأما عن الحركة الثقافية فيها، فقد كانت قليلة النظير، وفي كتب الرحلات مثل العبدري، ورحلة البلدي وأنس الفقير خير دليل على ذلك النشاط الفكري»[3].

وعن تونس يقول: «عرفت تونس في العهد الحفصي ازدهارا منقطع النظير، إذ بُنيت في عهدهم بها مدارس ودور للعلم...ومن أشهر مدارسها المدرسة الشماعية والتوفيقية، واشتهرت أيضا بجامع الزيتونة»[4]. ثم يسترسل كلامه قائلا: «يكفي تونس أنها كانت تُؤوي ابنَ زيتون وحازما القرطاجيَيْن وابن الغماز، وأبا الفضل التجاني...في زمن واحد وكان كل هؤلاء شيوخ ابن رشيد المبرزين في النقد والأدب والحديث والفقه والطب والرياضيات»[5] ويكفي أن نذكر أن ثلاثة أجزاء من الرحلة قد خصها ابن رشيد لتونس وأخبارها وشيوخها.

إذا فالرحلة في طلب العلم هي الهدف الأسمى الذي ينشده الرحالة في الغرب الإسلامي فتحمّلوا لأجله الصعاب والمخاطر، وصار من البديهي أن تتجه الرحلة إلى الشرق للتعلّم والأخذ عن علمائه ،لهذا كان لا بد أن يكون الحجاز منتهى سفرهم، كما يذكر

---

[1]– أبو عبد الله وحمد بن عمر. رحلة ابن رشيد السبتي. تحليل الدكتور أحمد حدادي. منشورات وزارة الأوقاف الإسلامية. المملكة العربية. 1424هـ/2003م. ص28.

[2]– المرجع نفسه، ص30.

[3]– المرجع نفسه، ص.ن.

[4]– رحلة ابن رشيد السبتي، المرجع نفسه ص32.

[5]– المرجع نفسه ص.ن.

ابن خلدون في مقدمته ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة.

5.طبيعة الرحلات داخل دويلات الغرب الإسلامي:

إذ كان الاعتقاد السائد أن الرحالة المغاربة كانوا ينتقلون إلى المشرق بغية الاستفادة من العلوم هناك، إذ زاروا المراكز الثقافية المشرقية فابن جبير يواظب على حضور المجالس العلمية والوعظية ببغداد[1]، وتحصيل أحاديث النبي –صلى الله عليه وسلم– والتثبّت من الروايات وأحوال الرواة والتقاء العلماء، وجلب الكتب والمؤلفات العلمية.

يقول ابن رشيد وهو عائد من مكة، وقد عرّج إلى الإسكندرية: «لم يكن توجهي للإسكندرية عازما على التغريب، ولكن لأخْذ كتب كنت أودَعتها هناك»[2] ويقصد هنا كتاب البدر المنير في علم التعبير، الذي تسلمه بالإسكندرية، من مؤلفة أبي العباس بن سرور المقدسي الحنبلي[3]، إلاّ أنّ هذا لا ينفي أنّ المغاربة أثروا هم كذلك في المشارقة، فالعلاقة كانت بينهم علاقة تأثير وتأثر، «فقد ظلت مدينة الإسكندرية مدينة سنية، وكان المذهب المنتشر بين الإسكندريين والمعمول به بينهم، هو مذهب الإمام مالك منذ انتشر هذه المذهب في المغرب وبين المغاربة، وبتأثير الجوار والرحلة انتقل إلى الإسكندرية وساد فيها»[4].

كما كان هناك تبادل ثقافي وفكري ورحلات بين العدوتين: المغرب والأندلس ومن الأسماء الّتي لمعت في الأفق نجد ابن عاشر الأندلسي السلوي ابن زمرك ابن الخطيب... وتجدر الإشارة إلى أن المغاربة تفوقوا في كثير من الأحيان على نظرائهم الأندلسيين كعبد القادر بن سوار المحاربي (ت 764هـ–1362م).

---

[1]– ينظر، كتاب ابن جبير، دار صادر بيروت، ص195–200.

[2]– رحلة ابن رشيد

[3]– بحث د. جمال الدين شبال، مجلة دعوة الحق. سنة 4. المجلد 1، 1382 ص48.

[4]– نيل الابتهاج ص159.

ومن العوامل التي ساعدت على انتعاش الرحلة العلمية في بلاد الغرب الإسلامي توحيد المغرب والأندلس، وتعدد المراكز الثقافية التي كانت مركزا للإشعاع الفكري، ومن أبرز المدن بلنسية وغرناطة التي كانت مقصدا للكثير من الأعلام كأبي ورد الذي تولى القضاء فيها وتفقه على يده الكثير من الطلبة الوافدين[1]ووجدوا الكتب الكثيرة، وتشجيع الحكام للعلم والعلماء، ضِف إلى ذلك الموقع الجغرافي فبلاد المغرب قريبة من الأندلس، لا يفصلها عنها إلا مضيق جبل طارق.

كما كانت هناك رحلات داخلية بين دويلات المغرب، فهناك من رحل لتونس كابن خلدون، لِمَا كانت تزخر به من علماء وهذا ما يؤكده رحلة ابن خلدون التي لم تترك مكانا من تونس وبجاية وبسكرة وتلمسان وغرناطة...

لقد حفلت دويلات المغرب الثلاث بالعلماء، وغصت بهم، فأصبح لهم مستوى عال جدا، حتى أن منهم من لم يسافر إلى المشرق قط كما هو الحال لابن العددي وابن المرحل، وهناك من لم يرتحل إلا بعد اكتمال ثقافته في المغرب.

لقد استطاع الرحالة المغاربة أن يتفوقوا في مناقشاتهم ومناظراتهم هذا لأن العلماء كانوا يتبادلون الزيارات والأفكار، ويتناظرون في أمهات الكتب، فالمناقشة بينهم متواصلة رغم أنهم من دول غير متَّفِقة سياسيا.

وهناك من تسابق وتسارع للحصول على إجازة من المغاربة، والإجازة هي شهادة تمنح من الشيخ لطالبه، تؤهله لأن يشغل منصبا علميا. ومن هؤلاء نذكر ضياء الدين عيسى بن يحي الأنصاري السبتي.

[1]– مجلة المعيار. مج27. عدد 01. رت 70/سنة 2025، الأثر العلمي للرحلات في الغرب الإسلامي، بقلم د. سالمي زينب. جامعة طاهري محمد، بشار. تاريخ الوصول 2022/06/21/ القبول: 2022/11/24.

إنّ اهتمام المغاربة بالرحلة قد تجاوز اهتمام الأندلسيين، فالرحلة لديهم كانت طريقة يثبت بها الرحالة ذاته، وأداة من أدوات البحث العلمي، والتعرف على الطرق والمناهج الجديدة، فبالرحلة يزداد العالم تألقا، وترتفع درجته بين أهله، فالقاضي عياض ارتحل للأندلس وأخذ عن أكثر من عالم، رغم أن تكوينه كان جيّدا.يقول بعد ذلك: «أجلسه أهل بلده للمناظرة وبعد ذلك أُجلِس للشورى ثم وُلي القضاء»[1].

ويقول المقري في وصفه لرحلة علماء الأندلس في كتابه نفح الطيب: «إنّ حصر أهل الترحال لا يمكن بوجه ولا بحال ولا بعلم ذلك على الإحاطة به، إلا علام الغيوب»[2].

وكان الكثير من العلماء يترجمون لشيوخهم ومنهم: «أبو عبد الله المجاري في برنامجه، وأبو جعفر البلوي في كتابه وابن غازي في فهرسته، والقلصادي في رحلته»[3].

إذا هذه الرحلات جعلت الحركة العلمية في الغرب الإسلامي تزداد ازدهارا، وساهمت في التعريف بالبلدان وأحوالها، وبالتعلم وطرقه وأساليبه، كما ساهمت في عقد المناظرات العلمية بين أقطاب الفكر منها مناظرة أحمد القباب والقاضي محمد العقباني[4]، وخلقت شبكة من الروابط الثقافية بين الطلبة والشيوخ من مختلف الأقطاب، وكذا تبادل الكتب والإجازات، وظهور أقطاب جديدة للفكر والثقافة وتحول المغرب إلى حاضرة تضاهي حواضر المشرق، بل وتفُوقها، إلى منارة علمية لمع بريقها في كل أرجاء المعمورة، هذا لأن الحكام المغاربة

---

[1]– التعريف بالقاضي عياض، تح: محمد بن شريفة، مج1، ط2، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ص10.

[2]– أحمد بن محمد مقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب مج2، تح: احسان عباس مطبعة بولاق دار صادر، بيروت، ص06.

[3]– مجلة روافد. العدد الأول–جوان 2017 ص152. الرحلة الداخلية في المغرب الإسلامي وأثرها في ازدهار الحياة العلمية من القرن 7هـ. 9هـ/13–15هـ بقلم د. سي عبد القادر عمر قسم التاريخ، جامعة تلمسان.

[4]– المرجع نفسه ص161.

اعتنوا بالنشاط العلمي وشجعوا العلماء، وحرصوا على ضمهم إلى مجالسهم، ومنحهم كل وسائل الراحة والاستقرار، فالسلطان أبو الحسن المريني عُرِف بحبه للعلم مثلا، وما يثبت ذلك هو حادثة غرق الأسطول المريني في المياه التونسية 750هـ/1349م، والذي كان فيه أربعمائة عالم رفقة السلطان[1]، إلى جانب كثرة المؤسسات العلمية والدينية من مدارس ومساجد ومكتبات وزوايا.

6.الحركة الرحلية الداخلية في الغرب الإسلامي:

1.6.رحلات الأندلسيين إلى بلاد المغرب لطلب العلم:

وفد للمغرب عدد كبير من علماء الأندلس منهم أبو الحسن علي بن سلمان الأنصاري القرطبي (ت730هـ/1329م)* ، كان شيخا من شيوخ القراءات، رحل إلى فاس، وكذا السياسي والشاعر والأديب والمؤرخ لسان الدين بن الخطيب (ت776هـ/1375م)، والنحوي أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله الغرناطي بن الحاج النميري* (ت768هـ-1366م) والمتصوف ابن عباد الرندي أبو عبد الله* والطبيب محمد بن قاسم بن أبي بكر القرشي (ت757هـ/1356م). وممن رحل للمغرب الأوسط نجد محمد بن عبد الله بن داوود الغافقي (ت686هـ/1287م) وأحمد بن عبد الله الأنصاري المعروف بالرصافي (ت776هـ/1335م) وعبد الرحمن بن محمد بن الملاح وأبو الحسن على بن أحمد بن داوود الوادي الغرناطي (ت898هـ/1493م)

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر. ج7. دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 2000. ص158.

*- أبو الحسن القرطبي له عدة مؤلفات منها بيان الجمع بين الروايات في الإقراء- الكتاني أبو عبد الله سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء. ج3. ص122.

*- أبو اسحاق النميري: رحل إلى فاس وعاش بها مدة طويلة عمل صمن كتاب الإنشاء في عهد السلطات المريني أبي الحسن وأب عنان المقري نفح الطيب ج7 ص108.

*- الرندي كان صوفيا على الطريقة الشاذلية (ت768هـ/1366م).

وممن رحل إلى بني حفص محمد بن أحمد بن سيد الناس الإشبيلي (ت659هـ/1260م)، الفقية الذي ذهب إلى بجاية، وأبو الحسن علي بن مؤمن الحضرمي، الذي رحل إلى بجاية ثم تونس والطبيب أبو القاسم محمد بن أحمد الأموي المشهور بابن أندراس الذي اتجه إلى بجاية ثم تونس.

2.6.رحلات المرينيين في طلب العلم:

هناك من المرينيين من اتجه إلى تلمسان فهي نقطة عبور، كمحمد بن أحمد بن عبد الرحمن السبتي الفاسي، وعبد الرحمن الهزميري، أخذ عن ابن البناء، ثم رحل إلى تلمسان (ت706هـ/1305م) والفقيه عبد الله بن محمد بن يوسف الغساني.

وممن رحل إلى بني حفص التي كانت تقع في طريقهم إلى الحج، فيمرون بها أثناء غدوهم ورجوعهم، فيقفون فيها ليباشروا الشيوخ ويأخذ منهم العلم النافع منهم أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم السجلماسي متصوف* ، توفي بقلعة بني حماد، وابن رشيد* ، ومحمد بن سليمان السطي المالكي وقد توفي غريقا بسواحل بجاية (749هـ/1348م) وهو عالم في الرياضيات والحساب، وعبد الله محمد بن علي المرسي من مراكش، واستقر ببجاية وأبو عبد الله بن يحيى الأغماتي الذي استقر هو الآخر بها.

*– أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم السلجماسي. عاش في القرن السابع الهجري. متصوف زاهد، طاق بين البلدات مشرقا ومغربا.

*– ابن رشيد: هو ابو عبد الله محمد بن عمر القهري السبتي، من أهل سبتة، اشتهر برواية الحديث، أخذ عن الكثير من العلماء، ذكرهم في رحلته (ملء الغيبة).

3.6.رحلات الزيانيين في طلب العلم

من العلماء التلمسانيي الذين هاجروا نحو بني مرين نجد: محمد بن عبد الله المقري القرشي التلمساني* (ت759هـ/1359) بفاس، ومحمد بن ابراهيم الأبلي العبدري التلمساني، أخذ عن ابن البناء وتوفي بفاس (757هـ/1386م) وأبو عبد الله الشريف التلمساني * (ت771هـ/1369م) وأبو عبد الله النجار التلمساني (ت749هـ-1348م). وابن مرزوق الخطيب (781).

وممن رحل نحو بني حفص نجد أبا عبد الله محمد بن عمر الهواري (فقيه ومتصوف) رحل إلى المشرق وزار بجاية وتونس، ومحمد بن محمد بن أحمد مرزوق الشهير بالكفيف* ، والفقيه المحدث أبو محمد عبد العزيز بن عمر بن مخلوف المكنى بأبي فارس (ت681هـ/1287م) من مواليد تلمسان، تعلم بها وانتقل إلى بجاية في رحلة لطلب العلم، فأخذ عن شيوخها مثل: أبي الحسن الحراني وأبي العباس المليانى ثم ذهب لقسنطينة والتقى بعلمائها، وصفه الغبريني بأنه خزانة مالك بن أنس.

4.6.رحلات الحفصيين في طلب العلم:

منهم أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني البجائي* صاحب كتاب عنوان الدراسة رحل إلى فاس، وأحمد بن حسن بن علي بن قنفذ القسنطيني الشهير بابن الخطيب (ت810هـ/1407م) والفقيه الصوفي أبو عبد الله محمد بن يحيى الباهلي البجائي، ومحمد هارون الكناني التونسي. هؤلاء من الذين اختارو الذهاب إلى بني مرين، ومنهم من اختار

---

* – المقري التلمساني: قاضي الجماعة بتلمسان وفاس، قربه السلطان المريني أبو الحسن وولاه فصاد الجماعة بفاس، وبنى له المدرسة المتوكلية (ت759هـ/1359م).

* – الشريف التلمساني أخذ عن أبني الإمام، نزل بفاس وزار مناطق أخرى كبجاية وتونس والحجاز.

* – الكفيف: اشتهر بالفقه والحديث والأصول، أخذ عن علماء المشرق وبجاية (ت901هـ/1495م)

* – الغبريني (ت704هـ/1304م)

تلمسان كمحمد بن أحمد بن عمر التميمي التونسي (ت745هـ/1344م)، وعالم العربية والحساب والحديث أحمد بن يوسف بن سعيد القسنطيني وأبو قاسم بن أحمد بن محمد القيرواني المشهور بالبرزلي* (ت842هـ/1438م).

ومن المغاربة الذين سافروا للأندلس نجد :أبو عبد الله بن خميس، الذي رحل إلى غرناطة (ت708هـ/1308م) وابن مرزوق الخطيب، كانت له نفس الوجهة (ت752هـ/1351م).

7. المراحل التي مرت بها الرحلة في عصر ابن قنفذ:

إن الأدب مرآة العصر، والأديب وليد بيئته، فلذا لا بد أن يتأثر بالظروف المحيطة به، فمتى كانت مناسبة أينع الأدب والأديب معا. ومتى تأثرت هذه البيئة، ذبل وتساقط، فالرحلة فن من الفنون الأدبية تؤثر وتتأثر بما حولها.

والرحلة في عصر ابن قنفذ، خاصة في دولة بني مرين، تأثرت بما حولها من ظروف ومستجدات بحكم المدة التي عاش فيها هناك، فمرت بمرحلتين أساسيتين هما:

أ/ المرحلة الأولى: وهي مرحلة الازدهار، فإذا كان عدد الرحلات التي ذكرت في الغرب الإسلامي قبل هذه العصر، هو اثنان فقط، رحلة ابن العربي ورحلة ابن جبير، فإن الرحلات التي ذُكرت في العصر المريني كثيرة ومختلفة كرحلة ابن رشيد والعبدري وابن بطوطة وأبي الفضل بن أبي مدين وكذا الرحلات الصوفية كرحلة ابن القنفذ ورحلة أبي يعقوب الباديسي.

ومن العوامل التي ساهمت في ازدهار هذا الفن هو تمكن الدولة المرينية من بسط نفوذها على أهم المناطق في الغرب الإسلامي.

*– البرزلي: من مشاهير فقهاء تونس، رحل شرقا وغربا، نزل بتلمسان (ت842هـ/1438م)

فالمرينيون عملوا على محاربة قطاع الطرق، الذين طالما قطعوا طرقات الحجيج وحرموهم السكينة وقضّوا مضاجعهم ونهبوا ممتلكاتهم، هذا الأمر منع العلماء أنفسهم من الانتقال نحو المشرق، لكن أمام إقدام المرينيين على إصلاح السابلة، وضرب المفسدين بيد من حديد، اندثر هذه المشكل فأقبل الناس على الرحلات أفواجا أفواجا.

ليس هذا فحسب، بل حرص بنو مرين على «إحداث مؤسسات أمنية دائمة في الطرق ومحطات بتسريح فيها الرحالون»[1] وعلى تنظيم ركب الحجاج المغاربة، والذين يكون من بينهم علماء، وحتى أثناء عودة هذا الركب، فسيصطحب معه علماء آخرين قادمين من الضفة الأخرى، ضف إلى ذلك أن الرحالة كانوا ينزلون بالزوايا التي كانت تقدم الخدمات للوافدين سخاء منقطع النظير، وتبين من رحلة ابن بطوطة مثلا أن الزوايا كانت فعلا دور ضيافة مجانية للجميع، يكرم فيها الزائر قبل أن تعرَف هويته[2].

إن الروابط الطيبة والمتينة التي جمعت الشرق الإسلامي بغربه ساهمت في ازدهار الرحلة، إذ عرف مايسمى بالسفارات بين القطبين منذ أواخر القرن السابع الهجري، هذه السفارات كان لها الدور الفعال على الضرائب التي كانت تفرض على الحجيج وغيرهم من الذاهبين إلى الحجاز في القرن السادس الهجري، إذ كانوا يستغلون استغلالا كبيرا. يقول ابن جبير عن رفع المكوس والمغارم: «فانبسطت لذلك النفوس وزاد السرور وزال البؤس»[3].

ب/ المرحلة الثانية: عرفت هذه المرحلة فتورا ثم جفافا، فمع منتصف القرن الثامن الهجري قلت الرحلة المغربية نحو الشرق، ولعل ابن بطوطة كان آخر جغرافي عالمي من

[1]– الحسن الشاهدي، المرجع السابق، ص112.

[2]– المرجع نفسه، ص115.

[3]– محمد بن أحمد بن علي تقي الدين أوب الطيب المكي الحسني الفاسي. شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام. ج2. ط1. دار الكتب العلمية د. م. ن. 2000. ص278.

الناحية العلمية[1]، فالمستوى العلمي أصبح راقيا جدا وتكاثر عدد الطلاب والعلماء فمجالس الملوك غاصة بالعلماء[2]، وفاس أضحت منارة علمية تغني الباحث عن الذهاب إلى الشرق وقائمة العلماء الذين تكونوا هناك طويلة منهم: أبو عبد الله البقال التازي ومحمد بن أحمد القشتالي. هذا الانقطاع تسبب في فتور بين الجهتين المغربية والمشرقية من جهة، ثم إن الصراعات التي بدأت تدب في كيان الدولة المرينية، أخذت تضعف رويدا رويدا، فشوكة المسيحيين أخذت تشتدّ في العدوّة الأندلسية والأوضاع هناك في الشرق لا تختلف عنها في الغرب، فالفوضى عمت الأرجاء بسبب الخلاف حول الحكم، والطّرق لم تعد آمنة كسابق عهدها، فنقص الرحالون ونقصت الرحلات.

يقول ابن خلدون وهو يصف وجهته إلى المغرب سنة 774هـ:« فاعترضوا هناك، فنجا منى من نجا على خيولهم...وبقيتُ يومين في قفرة صاحيا عاريا، إلى أن خلصتُ إلى العمران»[3].

إذا أمام تذبذب الأمن وعدم استقراره انتشرت عمليات القرصنة والأسْر، فأمام استيلاء المسيحيين على أجزاء من العدوة الأندلسية...انتشرت القرصنة، ووقع التربص بالسفن، دون احترام أحد سواء كان طالبا أو حاجا.

هذه الظروف حالت دون الانتقال والترحال بين الشرق والغرب أو حتى داخل دول الغرب الإسلامي لأن المسلمين الآن أمام مسألة أخرى، وهي الجهاد ضد المسيحيين الذين

---

[1]– تاريخ الأدب الجغرافي. نقله إلى اللغة العربية صلاح الدين عثمان هاشم. 1957. ج1. ص421.

[2]– ينظر، ابن محفوظ القرويين. خزانة القرويين فاس. المغرب رقم 40 ص643.

[3]– عبد الرحمن بن خلدون – التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، دار الكتاب اللبناني، 1979، ص218.

يتربصون بالأندلس والمغرب بل وصدرت فتوى تعطيه الأسبقية والأولوية على الحج، وأمام كل هذا أُلغيت الرحلة إلى الشرق وتفرغ العلماء للجهاد في سبيل الله.

الفصل الثاني

قراءة مختصرة من

العتبات إلى المتن

أوّلا : الخطـــــــــــاب الرّحـــــــــليّ:

يعتبَر الخطاب الرّحليّ "تلفيظا لفعل الرّحلة "[1]، وعليه فقد قام ابن قنفذ بكتابة رحلته و تدوينها ، محوّلا الأفعال الّتي قام بها و الأقوال الّتي قالها أو سمعها إلى نصّ رحليّ، و يمكن أن نميّز خطابه الرّحليّ من حيث المضمون و الشّكل.

1/ من حيث المضمون :

تعد رحلة ابن قنفذ من أهم رحلات القرن الثامن الهجري، كتبها في رمضان سنة 787هـ بقسنطينة، وقد ضمنها في كتاب موسوم بـ "أنس الفقير وعز الحقير" والذي نال شهرة واسعة وصدى كبيرا، بفضل تميزه عن باقي النصوص الرّحلية وقد عكس مؤلفه هذا الاهتمام برجال العلم والأولياء الصالحين بمن فيهم شيوخ الصوفية وأصحاب الطرق الكبرى، كما انصب اهتمامه بشكل كبير بالتعريف بالشيخ أبي مدين شعيب (في القرن السادس الهجري)، وكذلك أفاض في الحديث عن بعض الشخصيات الهامة الذي التقى بهم خلال رحلته، وذكر أخبارهم وصفاتهم وكشف عن نهضة علمية وفكرية في المدن المغربية خاصة في مدينة فاس. وبذلك رصد الرحالة حياة الصوفية في المغرب في عصره كما انه أمعن الحديث عن طرق الطرق الصوفية وطوائف شيوخها التي نسبت لهم، كما أشار إلى القبور والأضرحة إذ وقف على العديد منها، من أجل التبرك بها والتماس دعائهم، و عرف الأولياء وذكر كراماتهم وإخبار الفرق الاجتماعية بالمغرب، والطوائف فبدأ بالشعبيين فالصنهاجيين فالمجاريين والحاحيين والحجاجين ونجد أيضا أنه اهتم بعادات وتقاليد المجتمع.

[1] خطاب الرحلة العربي ومكوناته البنيوية، مجلة علامات في النقد، النادي الأدبي،ج9، م.ج3، سبتمبر 1993، ص 171.

2/من حيث الشّكل:

اعتمد ابن قنفذ على السّرد و الوصف و التّرجمة للشّيوخ و ذكر أخبارهم، كما ضمّت رحلته الرّسائل و الأشعار .

1.2/ السّرد: اعتمد ابن قنفذ في رحلته على الأسلوب السّرديّ البسيط، فهو عنصر لا يمكن الاستغناء عنه في كتابة النّصّ الرّحليّ، "فالسّردية هي العلم الّذي يعنى بالخطاب السّرديّ أسلوبا و بناء و دلالة"[1].وقد كان ابن قنفذ ساردا و كاتبا في هذه الرّحلة ، بحيث يبتدئ السارد فيه بتحديد أسباب الرحلة وزمانها ومكانها واصفا الانتقالات والتجولات من بداية الرحلة لنهايتها. و ما يمكن ملاحظته غياب الزّمن ممّا جعلها مفكّكة غير مترابطة و مفتقرة للاتّساق. فالكاتب يدرج تارة بعض كلام الشيخ أبي مدين وتارة أخرى ما سمعه من بعض الشيوخ، لينتقل إلى الحديث عن أمور أخرى، فيعود مرة للحديث عن أبي مدين،فالرحلة مبتدئة بالحديث عن الولي وشروط الولاية والكرامات الصوفية وعلاقته بها، تم تحدث عن الشيخ أبي مدين وأصحابه، ثم يتحدث عن آداب الصوفية ثم جده الملاري وكذا تلامذته وأصحابه وما عاشه في المغرب من أحداث.

2.2/ الوصف: لا يمكن أن تكتمل الصورة الجمالية للرّحلة بدون وصف ، فإذا كان السّرد فعلا زمانيا ، فالوصف فعل مكانيّ، و ابن قنفذ وصف في رحلته أنس الفقير الأماكن والمدن وكذا المأكل والملبس والمشرب والمجلس.

3.2/ الرّسائل : زخرت رحلة ابن قنفذ بمادّة أدبيّة هامّة وهي الرّسائل الإخوانية والّتي عُرِفت بالمكاتبات السّنيّة ،و" قد افتتحها بالبسملة و الصلاة على سيدنا محمّد . عليه أفضل الصّلوات و على صحبه ، ليدخل في الموضوع و بعض الرّسائل افتتحها بأبيات شعريّة

[1] محمد جبير، مقتربات النص، د.ط، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ، 1989، ص5

و أخرى دخل في موضوعها مباشرة"[1], و قد تنوّعت من حيث موضوعات و اهتمامات المتصوّفين في عصره ، لذلك فقد كان لها قيمة كبيرة من النّاحية الأدبيّة و الصّوفية، إذْ أعطت فكرة عامة عن المواضيع المتداولة عند الصوفيين في ذلك العصر، كرسائل أبي مدين لعبد العزيز والتي كانت جوابا لكتاباته. و عند للحديث عن يوسف بن يعقوب الملاري فترجم له و لتلامذته، ذاكرا ثلاث رسائل إخوانيّة.

4.2/ الأشعار : يعتبر الشّعر الصّوفيّ امتدادا للشّعر الإسلاميّ ، و قد وظّف ابن قنفذ أشعارا لشعراء آخرين، " فأكثر الأبيات أخذها عن ابن الزّيّات التّادلي"[2]، وكان كلمّا أنهى التّرجمة لشيخ من الشّيوخ ،أدرج بعده أبياتا شعريّة على سبيل الاعتبار ، وقد جاءت أشعاره متناثرة و متفرقة لأن السياق التعبيري فرض عليه ذلك ، كما جاءت حافلة بالرّموز و الإيحاءات و الكنايات ، فكانت ذات غرض صوفي .

و من الأمثلة الدالة على تناثر الأبيات الشّعرية ،أنّ ابن قنفذ بدأ رحلته بالشيخ أبي مدين شعيب وعائلته وحياته وختمها ببيتين من الشعر وذكر وصاياه (أربع وأربعون وصية) ليعرج إلى الحديث عن أصحابه وشيوخه كما تحدث عن أحد حفدة أبى يعزى، وختم حديثه عنه بثلاثة أبيات شعرية وغيرهم من الشيوخ الذي اختتم الحديث عنهم بأبيات شعرية أيضا. ثم انتقل للحديث عن يوسف بن يعقوب الملاري فترجم له لتلامذته، ذاكرا بيتا شعريا .كما ذكر آداب الإخوان فختمها ببيت شعري، ليعود للحديث عن أبي مدين شعيب، ثم تحدث عن خرقة الصوفية، ليعود مجددا الحديث عن أبي مدين، ليختتمه بأربعة أبيات شعرية عن وفاته. و عند زيارة ضريحه تحدث عن الفضل ابن النحوي و ذكر ثلاثة أبيات من قصيدته الجيمية المشهورة بالمنفرجة.

[1] ينظر: دليل الأداب واللغات ،مج1،العدد2022،2 ص125

[2] ينظر: المصدر نفسه ، ص 128.

3/ مكوّنات الخطاب الرّحلي :

يتكوّن الخطاب الرّحلي من ثلاثة عناصر أساسيّة و هي :

الحاكي (الرّاوي نفسه) ــ المحكي عنه(السّفر) ـــــالمحكي (الخطاب الرّحلي)

1.3/ الحاكي : و هو ابن قنفذ نفسه ، فهو لم يرحل بجسده فقط بل رحل بفكره و عواطفه و أحاسيسه و مرجعيته الثقافية.

2.3/ المحكى عنه : فالرحلة تأسست بفعل السّفر، و ما صاحب ذلك من وصف و سرد و أخبار جعلت هذا النص رحليّا.

3.3/ الخطاب المحكي: يعتبر أهمّ حلقة في هذه الثّلاثية ، فهو اللّب و النّواة و يتألّف من:

- **أسباب الرّحلة و دوافعها:** لقد ذكر ابن قنفذ في مقدّمة كتابه الدافع الذي جعله يؤلف هذا الكتاب فقال: "رغب إليّ من يتكرّم على من بعض إخواني في الدين في تقييد شيء من كلام الشيخ أبي مدين نفعنا الله به وبأمثاله من المسلمين"[1]. إذا الرّغبة في التّرجمة لأبي مدين و لتلامذته و شوخه و إخوانه من أهم الأسباب إضافة إلة المرجعيّة الدّينية لابن قنفذ فهو صوفيّ رغب في الترجمة لعلم من أعلام االتّصوّف، و هو أبو مدين بل أفرد له كتاب أنس الفقير.
- **زمن الخروج و مكانه:** و يعتبر المرحلة الهامّة من حياته،فقد ساهمت في تكوينه علميا و روحيّا فابن قنفذ لمّا بلغ 19سنة، أي حوالي 759هـ ، رحل إلى المغرب و مكث فيها 18سنة، زار فيها الشّيوخ و الأولياء و الأضرحة الّتي تضم رفات أصحاب و تلامذة أبي مدين.

[1]انس الفقير وعز الحقير. المصدر السابق،ص2

❖ **الرّجوع إلى نقطة الانطلاق:**عاد ابن قنفذ إلى قسنطينة مسقط رأسه سنة 776هـ، ووقف في طريقه على قبر أبي مدين بالعبّاد بتلمسان، ودعا له كما وصف ضريحه، و تجدر الإشارة إلى أنّ ابن قنفذ في هذه المرحلة ،عكف علة تدوين و تأليف ما استفاده في رحلته.

4/ خصائص الكتابة الرّحلية في أنس الفقير و عزّ الحقير:

- سيطرة بنية السّفر : ففعل السفر و انتقال ابن قنفذ من مكان لآخر،هو الّذي أطّر للأحداث .
- الذّاتية : فذات الكاتب موجودة ، و إليها بتنسَب الأعمال فابن قنفذ كان كاتبا و ساردا في نفس الوقت ،عاش تفاصيل الرّحلة من بدايتها لنهايتها.
- الحكي باستعمال ضمير المتكلّم (الأنا النصيّة): فابن قنفذ وظّف الكلمات (أخذتُ / رأيتُ/ حدّثني ...)، ليجعلها لازمة تدل على ذاته و ليوثق كلامه من خلالها ، فكان هو نفسه السارد و الشاهد على الأحداث.
- تعدّد المضامين و تداخل الخطابات: فابن قنفذ استعمل السرد من بداية الرّحلة لنهايتها لكنّه بين الفينة و الأخرى كان ،يتوقّف ليترك المجال لعناصر أخرى للاشتغال كوصف الأماكن و غيرها ، و تقديم معارف أخرى كالرسائل و الأشعار و غيرها.
- الواقعيّة: فشخصية ابن قنفذ حقيقيّة و ما قام به في رحلته و ما مرّ به من أحداث كلّها واقعيّة.

5/ أسلوب الرحلة

تعني كلمة أسلوب الطريقة في الكلام والتعبير، وهو مرآة الشخص فلكل منا أسلوبه، وأسلوب ابن قنفذ من خلال رحلته، تميز بعدة خصائص أهمها أنّ رحلته كانت زيارية ذات طابع صوفي.

فابن قنفذ اعتمد فيها على استرجاع ما عاشه و ما مرّ به من مواقف و أحداث عن طريق ذاكرته فقط ،و كما أشرنا سابقا فقد كان ساردا وكاتبا في الوقت ذاته،لذا كان لا بدّ له من توظيف ضمير المتكلّم،إذا هيمنت الأنا النصية على كتاباته فهو لم يكن ساردا فحسب بل شاهدا عليها، إذ عاشها بكل مراحلها ، أمّا عن أسلوبه فامتاز بالبساطة والسهولة في التعبير، خصوصا في طريقة سرده للأخبار أو عند وصف الكرامات و الأماكن،فلغته كانت بسيطة جدا، حتّى أنّ القارئ قد يجدها ضعيفة في بعض الأحيان، خصوصا عند استعمال الألفاظ العامية كقوله مخايد، ميدة...و لعلّ السّبب في ذلك يرجع إلى ابن قنفذ نفسه فالغاية من تدينه لهذه الرّحلة هي التّرجمة لأعلام الصّوفية على رأسهم القطب" أبو مدين شعيب"، لكن بعودتنا إلى مقدّمة الكتاب، فقد تميّزت "ببراعة الاستهلال" ، كما تجدها متكلفة بألوان البديع و خاصّة السّجع ، فعند قراءتها تجد خمس جمل مسجوعة، فهي تعكس مستوى الكاتب الأدبي و العلمي و الدّيني ، و نفس الأمر بالنسبة للمادّة الأدبية الّتي حوتها رحلته ، و المتمثّلة في الرّسائل ، فقد جاءت زاخرة بالألفاظ الدّينية الّتي أبانت عن ثقافة و مستوى ابن قنفذ.أمّا لغة الشّعر فهي الأخرى كانت بسيطة لا تحتاج إلى تدبّر لفهمها.

ثانـــــــــــيا: تجليـــــــــــات التّصوّف في الرحلة:

ما لا يختلف عليه اثنان أنّ أهل التّصوّف كان لهم وصل روحيّ و اتّفاق فيما بينهم ، حتّى لو كانوا بعيدين عن بعضهم البعض، و رحلة ابن قنفذ قامت على خصوصيّة التّصوّف، وقد تجلّى ذلك من خلال التّرجمة لشيوخ التّصوّف و ذكر الكرامات و زيارة أضرحة و قبور من مات منهم للتّبرّك بهم.

1/ التّرجمة لأعلام التّصوّف:رغم أن رحلة ابن قنفذ جاءت مفكّكة، إلاّ أنّ كاتبها حرص أشدّ الحرص على التّرجمة لأقطاب التّصوّف و بما أنّ الكتاب يختصّ بالتّرجمة لأبي مدين فقد أفرده ابن قنفذ للتّعريف به و بشيوخه وإخوانه و أصحابه.

و من الشّيوخ الّذين ترجم لهم:

- الشّيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل بن حرزهم.
- الشيخ أبو يعزى .
- الشيخ أبو الحسن بن غالب.
- الشيخ أبو عبد الله الدقاق.

أمّا إخوانه الذين ترجم لهم في رحلته فعددهم أحد عشر عَلَمًا:

- الشّيخ أبو عبد الله التّاودي.
- الشّيخ أبو تميم عبد الرحمن الهزميري.
- الشّيخ أبو الحسن علي بن إبراهيم الصّنهاجي.
- الشّيخ أبو زكريا يحي الزواوي.

- الشّيخ أبو علي يعزى ابن الشّيخ أبي يعزى.
- الشيخ أبو الصّبر أيّوب بن عبد الله الفهري السّبتي.
- الشّيخ أبو محمّد عبد الحقّ بن عبد الرّحمن الإشبيليّ.
- الشّيخ أبو محمّد عبد الجليل بن موسى بن عبد الجليل الأنصاري.
- الشيخ يحي بن صالح خديم أبي يعزى.
- الشّيخ الشّفير أبو محمّد بن ينصارن الماجريّ.
- الشّيخ أبو جعفر محمّد بن يوسف الصّنهاجي.

أمّا أصحابه فقد ترجم لستّة عشر علما نذكر منهم:

- الشّيخ أبو علي حسن بن محمّد الغافقي الصّواف.
- الشّيخ أبو مسعود بن عريف من جبال شلف.
- الشيخ أبو عمران موسى الحلاج.
- الشّيخ أبو علي عمر الصباغ.
- الشّيخ أبو عبد الله محمّد بن عليّ.

2.الكرامة:

وردت كلمة كرم في معجم الوسيط بمعنى كرمه كرما غلبه في الكرم.

يقال كارمه فكرمه :فاخره في الكرم، فغلبه فيه، (كرم) فلان كرما، وكرامة : أعطى بسهوله وجاد فهو الكريم والإكرامية : العطية، الكرامة : الأمر الخارق للعادة غير مقرون بالتحدي ودعوى النبوة، يظهره الله على أيدي أوليائه[1].

أما في لسان العرب، فقد جاءت كلمة الكرام بالضم مثل الكريم فإذا أفرط في الكرم قلت : كرّام بالتشديد، والتكريم والإكرام بمعنى والاسم منه كرامة والكرامة اسم بوضع الإكرام كما وضعت الغارة موضع الإغارة ويقال : كرم الشيء الكريم كرم وكرم فلان علينا كرامة والمكرمة والمكرم فعل الكرم[2].

أما الكرامة اصطلاحا فهي فعل خارق للعادة تظهر على يد عبد صالح متمسك سنة الله في جميع أحواله من غير التنبؤ، وينتمي أصحاب الكرامة من الصوفية إلى الشرائح البسيطة في المجتمع[3].

يقول جرجاني الكرامة هي ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة فما لا يكون مقرونا بالإيمان والعمل الصالح يكون استدراجا، وما يكون مقرونا بدعوى النبوة يكون معجزة[4].

أما الكرامة الصوفية : فهي فعل خارق للعادة وغير مألوف في الحياة اليومية يتصل بالوليّ الصالح ويقابلها المعجزة عند الأنبياء.

---

[1]معجم الوسيط، باب الكاف، مادة كرم ص 784

[2]ابن منظور لسان العرب، باب الكاف، مادة (كرم)،ج3، ص63 38

[3]الظاهر اليوناني، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7 ص 178

[4]علي بن محمد الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات.مكتبة لبنان طبعة جديدة 1985 ص184

و يعتقد أنّ الكرامة لا تزول بعد وفاة صاحبها بل تستمر وتلزم قبره. ويكون السبب في التواصل بينه وبين الناس ولذلك يلجأ إلى التبرك بكل ما وجد ويتعلق بالضريح أو بجواره[1].

ولقد خصّ ابن قنفذ كتابه "أنس الفقير وعز الحقير" بكرامات كثيرة، فمنها ما تعلّق بالصحابة، ومنها كرامات الشيوخ وكرامات أبي مدين.

1.2.كرامات الصحابة رضوان الله عليهم

ذكر ابن قنفذ في رحلته بعض الكرامات التي ظهرت على أيدي الصحابة فقد جاء في البخاري أن رجلين خرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة فإذا النور بين أيديهما حتى تفرقا فتفرق النور معهما[2].

و قصة سارية الذي أرسله عمر بن الخطاب على رأس الجيش ثم ناداه قائلا : يا سارية الجبل[3] يطلب منه العودة حذرا من العدو فسمعه ورجع وسلم من العدو.

و كرامة أبي بكر الصديق الذي خاطب عليا قائلا "أنا إن مت فاغسلوني وكفنوني وصلوا عليّ، واحملوني إلى روضة رسول الله صلى الله عليه وسلم واستأذنوا علي في الدفن بإزائه عليه السلام، فإن فتح الباب من غير فعل فادفنوني هنالك وإلاّ فاحملوني إلى البقيع.[4]

ففعل ذلك عليٌّ عند وفاته، وعندما وصل إلى باب الروضة استأذن النبي الباب طواعية فدفن بجانب رسول الله صلى الله عليه وسلم أما عمر بن الخطاب فكانت الشياطين تهرب منه.

---

[1]دحماني محمد حكايات كرامات الأولياء في منطقة السلف –ماجستر في الأدب الشعبي كلية الآداب واللغات،جامعة الجزائر 2012 2013 ص16

[2]انس الفقير ص04

[3]المصدر نفسه

[4]المصدر نفسه ص04 ، 05

ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاته على عثمان بن عفان، و هو محصور في الدار من كوة البيت في اليقظة فقال حصروك يا عثمان ؟ فقال نعم قال أعطشوك يا عثمان ؟ فقال نعم فقال تفطر عندنا يا عثمان ؟فقال نعم فأمر عثمان غلمانه بطرح السيوف حتى قتل[1].

و من الكرامات أيضا كرامة علي بن أبي طالب الذي رجعت له الشمس من مغيبها لانشغاله بخدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صلى العصر في وقته.

و من كرامات علي أن عطش الناس فأزال علي رضي الله عنه حجرا منبع الماء من تحته[2]

كما أنّه كان يكلّم الموتى بإذن الله.

أما خالد ابن الوليد فرأى شرابا فقال ما هذا فقالوا له خل فقال اللهم اجعله خلا فصار خلا [3].

2.2.كرامات الشيوخ

اختلفت التعريفات حول كلمة شيخ فمنهم من يرى أنه الوسيلة الصادقة للتقرب لله، فهو المربي الذي مر بتجربة، و خالف النفس وانتصر على الهوى، وهو الملقن الذي يبصر المريد ويلقنه سبيل الرشاد وينجيه من العوائق والعثرات حتى يستقيم حاله ويتعرف على طريق الحق إلى الله [4].

---

[1]أنس الفقير ،ص 05

[2]المصدر نفسه.ص.ن

[3]المصدر نفسه ص 06.

[4]منال عبد المنعم جاد الله : التصوف في مصر والمغرب، منشاة المعارف، الإسكندرية،دط. ص90

ومنهم من يرى أن الشيخ هو خليفة الورد ومولى الطريقة، هو حامل البركة التي عرّفها بعضهم أنها الكثرة والقناعة المعنوية، وهو الذي يرث إمام الطريقة أو المؤسس وقد يكون الشيخ وليا صالحا أو عالما شهيرا، كالشيخ عبد الرحمان الثعالبي وأبى مدين. و ذهب بعضهم إلى أنّ الشيخ قد يكون من الجنّ سواء كان له اسم أو لا قد يكون [1]شخصية مجهولة إلى حد كبير.

وقد عُرِف هؤلاء الشيوخ بكراماتهم، و يرى ابن قنفذ في كتابه أنها ليست معيارا لحصول الولاية لكن إن وقعت لولي فهي دالة على صدق عبادته وعلو مكانته، بشرط اتباعه لحقيقة ما أمر به النبي عليه السلام[2].

ومن أصحاب الكرامات من يُعلَم بكرامته، وهناك من يجهل ذلك وهناك من يكتمها عن الناس ولا يظهرها.فالشيخ أبو يعزى رحمه الله يقول : ما هؤلاء ينكرون الكرامة والله لو كنت قرب الماء لرايتهم المشي على الماء[3].

ويرى أن الكرامة لا بد لها أن تظهر، سيتأثر الناس، ويزيد إقبالهم على الطاعات

"اظهروا الكرامة ليرغب في الطاعة".[4]

ولتتحقق الكرامة، لا بد من أن يُحسَن الظن بالوليّ، فسوء الظن مانع من تحققها، وفي هذا الشأن يقول ابن قنفذ:"واعلم أنّ سوء الظن أساس الحجاب بين الناس والأولياء، وحسن الظن فيه سلامة الدين وثبوت اليقين"[5].

---

[1]أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي.ج4.ط1، 1998،دار الغرب الإسلامي بيروت ص11

[2]ابن قنفذ، أنس الفقير .ص03

[3]المصدر نفسه ص04

[4]المصدر نفسه ص 03

[5]المصدر نفسه، ص 06.

لكن السؤال الذي يطرح: هل تنتهي الكرامة بموت صاحبها أم تستمر ؟

الأكيد أنها تستمر، فالكثير من الشيوخ الذين جُهِلوا في حياتهم، عرفوا بعد مماتهم.

فالشيخ الفقيه أبو العباس السبتي ظهرت بركاته بعد موته عند قبره فها هي شهادة عنه من عدو في الدين وهو يهودي، إذ كان في مكان منقطع بعيد، فأدركته قافلة، أرادت قتله وسلب أمواله، ولم يتمكن من الهرب بسبب اعوجاج دابته، فأخذ يبكي عند قبر السبتي ويدعو الله، فأصاب من تربصوا به عطل فتعطّلوا، وخف عرَج دابته، وتمكن من الوصول إلى الناس بسلام.

ويقرّ عبد الرحمان بن يوسف الحسن أنه كان سيّء الظن فيه إلى أن رأى في منامه الرسول صلى الله عليه وسلم فقال له: " ما تقول في السّبتي؟ "[1]. قال ك فقال لي بعد أن تبتسم وهو من السبّاق، قال فقلت، بيّنْ لي يا رسول الله قال هو ممن يمرّ على الصراط كالبرق قال: فخرجت بعد الصبح، فلقيَني السّبتي، فقال لي " قل ما رأيت وما سمعت والله لا أتركك حتى تعرفني"[2].

ومن كرامات الشيوخ كرامة ابن عاشر، الذي حرص على إحياء علوم الدين، " فقد طلبتُ منه مرة طعاما، فاعتذر لأنه لا يملك منه الكثير، ثم طلب بعض الوقت، وذهب ثم أتى، وأخرج من جيبه حبات تين يابسة وضعها في يده اليمنى، وغطاها باليسرى، وضحك لي وهو كان لا يتحدث لأحد، إذ كان كثير النفور من الناس[3].

3.2/كرامات الشيخ أبي مدين

[1] أنس الفقير، ص 08.

[2] المصدر نفسه، ص 09.

[3] ينظر المصدر نفسه ص.ن

الشيخ القطب أبو مدين هو شعيب بن حسين الأنصاري الأندلسي، كان زاهدا في الدنيا ظهرت كراماته منذ كان صغيرا، فلقد كلفه إخوته بعد موت والده برعي الأغنام، وكان كلما وجد قارئا أو مصليا دنا منه، حتى ذهب همه، فترك الرعي وفر طلبا للعلم لكن أحد إخوته أعاده للرعي ففرّ مرة ثانية، و أدركه أحد إخوته بيتغي ضربه بالسيف، فلمّا نزل عليه به تلقى ضربته بعود كان في يده فتكسر السيف إلى أجزاء. فتعجب أخوه لذلك وقال له: اذهب حيث شئت[1].

ومن كراماته كثرة تلامذته الذين ظهرت بركاته عليهم، يقال:خرج على يده ألف تلميذ وظهرت لكل واحد منهم الكرامة والبركة[2]. ومن كراماته المكاشفات أي التنبؤ بالأمر قبل وقوعه، فلمّا اشتد جدال بين الطلبة في مسألة فقهية، و هي قول الرسول _صلى الله عليه وسلم _ : "إذا مات المؤمن أعطي نصف جنته. فكيف ذلك؟ فهم يعتقدون أحقية المؤمن بالجنة كاملة فاتجهوا لأبي مدين مستفسرين متعجبين، وبمجرد دخولهم وقبل أن يطرحوا السؤال وجدوه يقرأ الرسالة القشرية، فلمّا فرغ منها أجابهم على الفور بدون أن يسمع سؤالهم، بقوله أراد الرسول صلى الله عليه وسلم بنصف جنته أنّ لكل مؤمن جنته، فإذا مات أعطى نصف جنته، وبعد الحشر يعطى النصف الثاني[3].

ومن المكاشفات أيضا تعرفه على الشيخين أبي محمد عبد الحق الاشبيلي وأبي علي المسيلي دون أن يكشفا له على اسميهما، ولم يكن يعرفهما من قبل ولم يرهما قط[4].

و من كراماته أنّه كان يذهب إلى مكان خال، يحفظ فيه آية أو حديثا، فإذا جلس جاءت إليه غزالة شمته من رأسه لقدمه وأنست، و المعروف أنّ الحيوانات لا تأنس بالإنسان، و من

---

[1] ينظر :أنس الفقير، ص 12

[2] المصدر نفسه ص 16.

[3] ينظر المصدر نفسه ص 34-35

[4] ينظر، المصدر نفسه، ص 17

كراماته أيضا إكثار الطعام وحلول البركة، إذْ جاءه الشيخ أبو عمران يوما بعد غياب فجلس ينتظره في مجلس قراءته، و لما انتهى أبو مدين سأله عمّن تجيب الضيافة ؟فقال أبو مدين :عليّ الطعام وعليك العسل.فأحضر جفنة فارغة و غطّاها وصلّى ركعتين، فوجدها مملوءة عسلا، أكل منها الحضور، وهبطت بها البركة، إذ لم تنقص رغم مرور خمسة وعشرين يوما.

ومن كراماته قصة وفاته فلمّا اشتهر وذاع صيته في البلاد، أرسل له سلطان بجاية ليأتيه فاشترط عليه أن يُحمَل خير محمل، فاستغرب أصحابه ومن يعرفونه لذلك.فما عاهدوه محبّا للبذخ والترف، إلاّ أنّه طمأنهم، فهو شيخ كبير طاعن في السن، واهن ضعيف لا قوة له على المشي، و منيته قُدِرت بغير مكان، ولا بد له من الوصول إليه، و قدر لي من يحملني إلى مكان الدفن برفق، سبقوني إلى مرام المقادير أحسن سوق والقوم لا أراهم ولا يروني.ومن ذلك ارتحل به إلى أن وصل إلى تلمسان ولمّا وصل للعبّاد. قال لرفقائه:"مليح للرقاد وقال بعضهم انه قال لا باس بالنوم في هذا المكان"[1] فنزل به وتوفي بالعباد ودفن بها.

إذ تمثلت كرامته في هذه القصة بتنبئه بمكان دفنه واشتراطه أن يصل إليه محمولا برفق وحرص شديدين.

4.2/كرامات الشيخ أبي يعزى شيخ أبي مدين

عرف أبو يعزى بكراماته فقصده الكثير من الشيوخ ليأخذوا عنه العلوم ويتزودوا ببركته، ومنهم الشيخ أبو مدين أحد تلامذته يقول: طالعت أخبار الصالحين من زمن أويس القرني إلى زماننا، فما رأيت أعجب من أبي يعزى، وطالعت كتب التذكير فما رأيتك الإحياء للغزالي، فكراماته كثيرة عجيبة غريبة وحدث أن ذهب إليه أبو مدين لما سمع عنه كثيرا، فنهره عن الطعام، وبقي على هذه الحال ثلاثة أيام إلى أن أنهكه الجوع، فمرغ وجهه في

[1] أنس الفقير، ص 103.

مكان التراب، فعمي وذهب بصره فبكى الليل كاملا، وفي الصباح استدعاه الشيخ ومسح على عينيه فعاد بصره[1] ثم انصرف بعدما أسرّ له ببعض الأمور التي ستقع له في طريقه منها أنه سيجد أسدا فقال: ترى الأسد يعتريك في الطريق لا تخف منه، و إن خشيت فقل له بحرمة أبي يعزى اذهب عني[2]، و تلتقي بثلاثة لصوص عظهم أما اثنان فسيتوبان وأما الثالث فل، وسيصلَب في الشجرة.

و فعلا حدث ذلك والتقى بالأسد واللصوص وصُلب ثالثهم على شجرة بعدما ضرب عنقه من طرف الولاة. ومن كراماته أن كان مستجاب الدعاء، إذ اشتكى الناس من عدم سقوط الأمطار فألقى بشاشيته، و ترك رأسه عاريا وتذلل لله معظما له سبحانه وتعالى قائلا ما لهؤلاء القوم يطلبون منّي المطر وأنا عبدك الضعيف لا قدرة لي على؟ فعل ذلك ثم بكى فحدثت المعجزة أن انزل الله المط[3]ر.

ليس هذا فحسب فقد كان يكلم الحيوانات وخاصة السباع فكانت تخشاه وقد قال ميمون التاروطي رحمه الله :"زرت أبا يعزى وأقمت عنده فوصلت جماعة من فاس بوسم الإنكار عليه، فوثب السبع على دابة من دوابهم، فصاح أبو يعزى عليه وجذب من أذنيه وقال لأصحابه، اركبوه ففروا منه، فركبته أنا فكنت أحس بوبره في ثوبي[4].

كما ظهرت كرامات أخرى في ثنايا هذه الرحلة، ككرامة إشفاء المرضى بإذن الله سواء أكان بالدعاء لهم أو أن يوضع ريقهم في موضع الألم، ومن ذلك قصة عبد الله التاودي حينما كان في مجلس أبي يعزى جيء برجل لا يمشي فاخذ يتفل عليه حتى قام[5].

---

[1] ينظر المصدر نفسه ص23

[2] أنس الفقير ص 15

[3]المصدر نفسه، ص 23.

[4]المصدر نفسه ، ص 23/22.

[5] ينظر: المصدر نفسه ص 29.

و قصة الشيخ أبي تميم عبد الرحمان الهزميري إبراؤه لأخت الشيخ أبي حسن بن عبد الكريم من البرص الذي ظهر في وجهها والذي عجز الأطباء عن مداواته حيث جعل يمسح بريقه على موضع البرص المرة بعد المرة حتى ذهب البرص من وجهها تماما[1].

3-الأضرحة والمقابر

تنقل ابن قنفذ خلال رحلته للعديد من الأضرحة والمقابر فقد أكد على بركتهم حتى بعد وفاتهم حيث أن المتصوفين جعلوا أهم مشاعرهم زيارة القبور والأضرحة والطواف بها والتبرك بأحجارها والاستغاثة بالأموات، و مثال ذلك إجابة أبي العباس أحمد بن العاشر الأندلسي لمّا سأله احد الفقراء عن هذا الفضل، فأنكر عليه سؤاله، وقال لا تنقطع الكرامة بالموت. فهنا يشير إلى الشيخ الفقيه العالم المحقق أبي العباس السبتي المدفون بمراكش[2] حيث ذكر الرحالة مجموعة من القبور التي وقف عليها وخصوصا أن بلاد المغرب تقدس الشيوخ وقبور الأولياء الصالحين ومن القبور التي ذكرها في رحلته:

1.3.قبر الشيخ أبي مدين شعيب

الشيخ أبي مدين شعيب بن الحسين الأنصاري قبره بالعبّاد بتلمسان حيث وقف على قبره مرارا وتكرارا، وأخبره بأن الدعاء عند قبره مستجاب، حيث وصف بن قنفذ القبر قائلا :قبر الشيخ أبي مدين رضي الله عنه معهود مشهور وحوض للزائرين.

[1] أنس الفقير ، ص 32/31.

[2] المصدر نفسه، ص 07

رأيت من قبور الأولياء كثيرا من تونس إلى مغرب الشمس ومنتهى بلد أسفي، فما رأيت أنور من قبره ولا أشرق ولا أطهر من سره، و ليس الخبر كالعيان، و الدعاء عنده مستجاب[1] فكان الرحالة يقصدونه من أجل التسيير والحفظ وتسهيل الأمور.

2.3.قبر بن حرزهم

اشتهر بكراماته، عاش بفاس وتوفى بها كانت.أول زيارة لابن قنفذ لقبره عام ستة و خمسين وسبعمائة وللوقوف على قبر بركات[2].

3.3.قبر الولي أبي الفضل قاسم القرطبي

زار الرّحالة قبره وقبر أبي زكريا الزواوي، حيث تبرك بهما قبره بمحاذاة قبر أبي زكريا الزواوي[3].

4.3.قبر العاشر

هو الشيخ الحاج الزاهد الورع الصالح أبو العباس احمد بن العاشر الأندلسي، من مدينة سلا ولد بها ودفن بها [4]طلب منه الدعاء، فلقي منه المعاملة الحسنة.

5.3.قبر الشيخ أبي تميم عبد الرحمان الهزميري:

[1] جميلة رقياش: أدب الرحلة في المغرب العربي، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، في الأدب الجزائري القديم، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2014-2015، ص 118

[2] أنس الفقير وعز الحقير، ص 14.

[3] المصدر نفسه ص 28.

[4] المصدر نفسه ص 09.

زاره بن قنفذ ونال بركته وقبره في مكناسة الزيتون.

6.3.قبر أبي محمد عبد أبي محمد عبد الحق بن عبد الرحمان الاشبيلي

من أصحابأبي مدين قبره ببجاية المحروسة خارج باب المرسى.

كانت ولادته عام ستة عشر وخمسمائة ووفاته عام اثنين وثمانين وخمسمائة [1].

7.3.قبر أبي شعيب أزمور

اشتهر بكراماته العجيبة عرف بأيوب السارية[2]لأنه كلما قام للصلاة انتصب كالسارية.

8.3.قبر أبي زكريا يحيى عمرو عبد العزيز

شيخ الطائفة الحاحيون هو أبي زكريا يحيى بن أبي عمر وعبد العزيز بن عبد الله بن يحيى الحاحي. يقال أنّه من آل بيت النبي الكريم وقبره بتغزا من بلاد حاحة[3].

9.3.القاضي أبي بكر بن العربى:

توفى بمغيلة ودفن بفاس عام ثلاثة وأربعين وخمسمائة من فقهاء وعلماء فاس. قبره بين مدينتي فاس القديمة وفاس الجديدة[4].

10.3.قبر الشيخ أبي محمد الصالح

زار قبره سنة ثلاث وستين وسبعمائة. وقف ابن قنفذ على قبره والتمس بركته.

---

[1]المصدر نفسه، ص 13.

[2]أنس الفقير ص 42.

[3] المصدر نفسه ص 66

[4] ،المصدر نفسه ص 42.

11.3.قبر عبد العزيز

وقف عند قبره سنة ثلاث وستين وسبعمائة وهو من الفقهاء والزهاد في الدنيا[1].

12.3.قبر بن تيجلات

قبره باغمات. نال ابن قنفذ بركته والتمس لطفه.

13.3.قبر أبي يعزى

أراد ابن قنفذ الوقوف على قبره، لكنه لم يفعل بسبب الخوف من الطريق. وقبره متواجد بتاغية جوفي تادلا[2].

4-الطوائف والفرق

عمل ابن قنفذ على الوقوف متمعنا في المجتمع المغربي الذي كانت تسوده الطائفية حيث كان يرتادها الطلبة والمريدون. و قد أحصاها ابن قنفذ ووجدها منفردة وقد ساعده في ذلك اكتسابه مكانة علمية رفيعة، ممّا سهّل له مقابلة الشيوخ ورؤية الناس والسؤال والتحري بكل أريحية. وقد اختلفت تسميات هذه الطوائف باختلاف شيوخها، حيث وردت بمسمّيات أصحابها على اختلاف اتجاهاتهم وتربيتهم الروحية، فهناك من اتخذ طريق الشدة، وهناك من اتبع طريق اللين، ومنهم من استخدم الوسطية، و قد حازت هذه الطرق درجة رفيعة في المجتمع الجزائري لمشاركتها في الحياة اليومية للمجتمع، وقيامها بمهام الإرشاد والتعليم، والقضاء وإصلاح ذات اللين...و قد تعددت التعريفات لهذه الطرق باعتبارها مظهرا من مظاهر التواصل الروحي بين المجتمعات.

---

[1] مصدر نفسه،ص 105.

[2] أنس الفقير، ص.ن.

فهي الخط الذاهب بين محيط الدائرة إلى المركز وكل نقطة على محيط الدائرة هي مبدأ الخط، وهذه الخطوط لا تُحصى ولا تنتهى كلّها إلى المركز في طريقة مختلف، و مهما اختلفت هذه الطرق فالهدف واحد لأنه لا وجود إلاّ لمركز واحد وحقيقة واحدة[1].

ومن خلال هذا القول يتضح لنا أن كل طائفة مستقلة عن غيرها، و لا تربطها أي علاقة بغيرها، ولكنّها تصب في مشرب واحد، إلا أن طائفة الهزميري كانت لها علاقات بباقي الطوائف كما ذكر ذلك ابن قنفذ.

و من أهم الفاعلين في الطرق الصوفية هما الشيخ والمريدون، بل إنّ استمرارها وديمومتها يرجع لهذين الفاعلين، ولكلّ طريقة آداب وقواعد يخضع لها المريد، وعليه الطاعة والولاء للشيخ والطّوائف الواردة في أنس الفقير وعز الحقير ستّة و هي:

1.4.طائفة الشعبين:

وهم طائفة الغوث أبي مدين شعيب ويقطنون بأزمور وهم من أشياخ الشيخ أبي يعزى[2].

2.4.طائفة الصنهاجيين :

نسبة لقبيلة صنهاجية، و هم المجموعة القبلية الكبرى في المغرب، و هم من بني أمغار من بلد تيطنفطر من أقران أبي شعيب[3].

3.4.طائفة الماجريين:

[1] الطريقة الصوفية- مفاهيمها وملامحها-ط- عاشوري أحمد- العدد الخامس، 16. 6. 2017، جامعة تلمسان- الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، ص 165.

[2] أنس الفقير وعز الحقير ص 64.

[3] المصدر نفسه، ص 64.

وهم طائفة أبي محمد صالح ومنهم الدكاليين[1]. وهذه الأخيرة هم أيدو كالن وفيها أيدو بمعنى تحت أو أسفل، وأد ومعناه أهل وأكالن معناها الأراضي ومنهم من ذهب إلى دكالة هم الأصحاب أو المجتمعيون[2].

4.4.الحاحيون :

وهم طائفة الشيخ الحاج الشهير بأبي زكريا يحيى بن أبي عمرو بن عبد الله بن يحيى الحاحي. أصلهم يعود إلى جبل درن العظيم وقد لقي قبولا من الناس وعرف باللطف وحسن المعاملة وكان لأبي زكريا قبولا تاما عند الجمهور وله في الفقر كلام حسن وتحقيق وتدفق ووصايا حسنة بكلام لا يصدر إلا عن عالم أو ولي[3].

5.4/الحجاج:

وهم جماعة من الحجاج ولا يدخل معهم إلا من حج بيت الله الحرام. تضم إلا من حج بيت الله[4].و قد زار الرحالة شيخها ونال بركته.

6.4/ طائفة الغماتيون :

نسبة إلى الشيخ الولي أبي زيد عبد الرحمان الهزميري[5]. وقبر أبي زيد داخل باب من أبواب مدينة فاس. حيث اشتهر بكراماته حيث قيل عنه كان أعجوبة زمانه[6].

---

[1]المصدر نفسه، ص .ن.

[2]أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، د. ط، منشورات كليات الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1984.

[3] أنس الفقير، ص 64.

[4] المصدر نفسه ص 64.

[5] المصدر نفسه،ص 82.

[6]المصدر نفسه ص 66.

و هذه جملة من الطوائف التي وقف عندها ابن قنفذ حيث جالس شيوخها ونال دعائهم وبركتهم كما زار قبور بعضهم.

و أخيرا يمكن القول أنّ كتاب أنس الفقير و عزّ الحقير يعدّ مصدرا نفيسا وظّف من خلاله ابن قنفذ عناصر الخطاب الرحلي كما تجلّى فيه التّصوّف ، فكان أداة للتّعبير الصّادق، كما رسمت رحلة ابن قنفذ صورة واضحة مكتملة الملامح عن الحياة الفكرية و الصّوفية و العلمية في القرن الثّامن الهجريّ، و تعتبر مرجعا هامّا للتّرجمة للكثير من الشّخصيات الّتي عاصرها ابن قنفذ أو وار أضرحتها، فعلى سبيل المثال لا الحصر استفاد منها التّنبكتي للترجمة للكثير من الأعلام

خاتمة

خاتمة:

في خاتمة هذه الدراسة توصلنا إلى جملة من النتائج تمثلت فيما يلي:

- يعد ابن قنفذ القسنطيني من الأعلام الجزائريين الذين أسهموا إسهاما كبيرا في تنشيط فن عريق كأدب الرحلة.
- من خلال رحلته عمل ابن قنفذ على تجسيد وحدة المغرب العربي الثقافية.
- يعَدّ"أنس الفقير وعز الحقير كتابا ثمينا"، عرّف بالفقهاء والشيوخ، و هو من فن التراجم والسير، فهو بذلك عمل على إبراز حياة الصوفية والمتصوفة بدقة بدءا من أبي مدين شعيب، الذي جعل كتابه هذا تكريما له.
- يعتمد ابن قنفذ في تفسير الزمن على منطلق الواقعية على اعتبار أن النص صوفيّ يتعدى الزمن.
- لم يذكر ابن قنفذ في رحلته تاريخ الانطلاق أو دخول المدن والخروج منها لأنّ القصد من رحلته هو زيارة الأضرحة والأولياء الصالحين.
- الوقوف على القبور والأضرحة قصد تسهيل الأمور، كوقوف اليهودي عدوّ للدين بقبر السبتي.لما تربص به الأعداء، ونجاته منهم.
- أظهر لنا مجموعة من الطوائف السائدة آنذاك كالشعبيين و الصنهاجيين و الماجريين والحاجيين...
- اتسمت رحلته ببساطة الأسلوب وسهولة الألفاظ.
- أهم ما يميز الكتاب أنه جاء للتعريف بالمتصوفة وخاصة أبي مدين، إذ يعتبر هذا الكتاب من المصادر.
- أثبتت الرحلة الجزائرية حضورها في الأدب الجزائري منذ القديم، وخير مثال على ذلك رحلة ابن قنفذ القسنطيني.

ـ دامت رحلة ابن قنفذ ثماني عشرة سنة، زار فيها مختلف ربوع المغرب الأقصى.

ـ إنّ انتشار الكرامات والخرافات، قد جعل من رحلة ابن قنفذ رحلة تاريخية تصنَّف في صف التراجم.

ـ هيمن ضمير المتكلم على الرّحلة، هذا لأن الرّحالة عاش تفاصيلها فكان ساردًا لها وشخصية محورية عاشت كل أحداثها.

–تقوم الرحلة على الوصف والسرد معا، فهما وجهان لعملة واحدة,لا يمكن للنص الرحلي أن يكتمل بدونها، فابن قنفذ سرد الأحداث ووصف الأماكن والأضرحة وغيرها.

– يتقمص السارد في الرحلة عدة أدوار فهو سارد للأحداث وناقل ومحرك لها.

حسبنا إن اجتهدنا في عملنا هذا وسعينا إلى أن يكون موضوعيًا وجادًا. وللمجتهد كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"أجران إن أصاب وأجر إن أخطأ. "

"وفوق كل ذي علم عليم".

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

- **المصادر:**

1. أبو العباس أحمد الخطيب الشهير بابن قنفذ، أنس الفقير وعز الحقير، نشره وصححه محمد الفاسي/أدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي مطبعة أكدال 1965.

المراجع:

1. الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر خلال القرن 817هـ/1312م، إشراف عبد العزيز الفلالي، دار الهدى للطباعة والنشر عين مليلة الجزائر 2004.

2. عمر فروخ، الأدب العربي في المغرب والأندلس، ج6، د. ط، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، د. ت.

3. محمد طمار ومحمد بن عمر، كتاب تاريخ الأدب الجزائري، د. ط، الحركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

4. أبو بكر محمد الكلابادي، التعرف لمذهب أهل التصوف، تج: عبد الحليم محمد طه، عبد الباقي سرور، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة 1960.

5. رابح بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته، دار الهدى، وزارة الثقافة الجزائر.

6. ابن مريم الشريف المديوني التلمساني، البيان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، د. ط، تج: شنب محمد، المطبعة الثعالبية، الجزائر 1908.

7. مقدمة ابن خلدون، ج1/ط1، تج: عبد الله محمد الدروش، توزيع دار يعرب دمشق 2004.

8. عواطف محمد يوسف نواب، الرحلات المغربية والأندلسية، مطبوعات مملكة الملك فهد الوطنية الرياض (1996/1417).

9. أبو عبد الله محمد بن عمر، رحلة ابن رشيد السبتي، تج: د. أحمد حدادي، منشورات وزارة الأوقاف الإسلامية المملكة العربية 2003.

10. محمد عادل عبد العزيز، التربية الإسلامية في المغرب وتأثيراتها الأندلسية، الهيئة العامة للكتاب، د. م. ن، 1987.

11. محمد زيتون، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، دار المنار القاهرة 1988.

نصر الدين سعدون، تاريخ العرب السياسي في المغرب من الفتح العربي حتى سقوط غرناطة، دار النهضة، لبنان 1987.

12. احمد بن محمد المقري التلمساني، نفخ الطيب من عصر الأندلس الرطيب، تج: محمد محي الدين عبد الحميد، ج6، المكتبة الكبرى، القاهرة 1949.

13. ابن الشماع، الأدلة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تق: طاهر بن المعمري، دار العربية، د. م. ن/د. ط، 1996.

14. حميدة بن عامر هادفي، مساهمة رياضي الأندلس في المادة العلمية بإفريقية خلال القرون الوسطى، مكتبة الملك عبد العزيز العامة الرياض 1996.

15. شاكر مصطفى، موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها، دار العلم للملايين، لبنان، ج2، 1993.

18. جلال الدين السيوطي، بغية الرعاة في طبقات اللغويين، تج: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة لبنان.

19. علاوة عمارة، مغرب أوسطيات، دراسات في تاريخ وحضارات الجزائر في العصر الإسلامي الوسيط، د. ط، مكتبة إقرأ قسنطينة الجزائر 2013.

20. كمال عزب، المساجد والزوايا في مدينة قسنطينة الأثرية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف 2011.

21. برنامج ابن جابر الوادي، شمس الدين محمد بن جابر الوادي آشي التونسي، تج: محمد الحبيب هيلة، جامعة أم القرى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة 1981.

22. مبارك بوطارن، العمارة الدينية في المغرب الأوسط، د. ط، كنوز للنشر والتوزيع الجزائر 2011.

23. مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، الجزء 2، منشورات الحضارة ط 2009، بئر توتة الجزائر.

24. إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، مج1، دار الرشاد الحديثة الدار البيضاء 2000

25. إسماعيل بن الأحمر، بيوتات فاس الكبرى، د. ط، دار المنصور للطباعة والورقة الرباط 1972.

26. محمدبن أحمد بن علي الحسين الفاسي شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ج2، ط01، دار الكتب العلمية، د. م. ن. 2000.

27. أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، د. ط، دار الكتب العلمية لبنان 1971.

28. عبد الرحمان ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج7، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت 2000.

29. ابن قنفذ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، د. ط، تح: عبد المجيد، دار التونسية 1968.

30. أبو يعقوب يوسف ابن يحيىالتادلي، التشوف في رجال التصوف، د. ط، منشورات كلية العلوم الإنسانية، الرباط 1984.

31 . الحسن الشاهدي، أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني، ج2، منشورات عكاظ د. س. ن/د. م. ن.

32. ديوان الشّافعي الجوهر النفيس في شعر الإمام محمّد بن إدريس د ط مكتبة ابن سينا للنشر مصر د س ن.

33.محمّد جبير ،مقتربات النّص 5 ، دار الشّؤون الثقافية العامّة ببغداد 1989

- المجلات:

1. جمال الدين شبال، مجلة دعوة الحق، السنة4، المجلد1، 1382هـ.

2. د/ عبد العزيز الفيلالي، جامعة قسنطينة، مجلة أفكار وآفاق الصلات الثقافية بين تلمسان وقسنطينة، العدد 2012/02.

3. مجلة المعيار، مج 27، عدد01، رت70، سنة 2003.

4. مجلة روافد، العدد الأول جوان 2017، الرحلة الداخلية في المغرب الإسلامي وأثرها في ازدهار الحياة العلمية من الغرب 7هـ-9هـ/19-15مبقلم: سي عبد القادر عمر، قسم التاريخ جامعة تلمسان.

5. عبد الرحمان تلاغ التيارات الصوفية في الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، جامعة بشار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية 2022/2021.

6. دحماني محمد، حكايات كرامات الأوليات في منطقة السلف ماجيستر في الأدب الشعبي، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر 2013/2012..

7. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج04، ط01، دار العرب الإسلامي بيروت، 1998.

8. خطاب الرحلة العربي و مكوناته البنيوية ،مجلّة علامات في النّقد، النّادي الأدبي ج9 مج 3 1993

9.دليل الأداب و اللّغات مج 1،العدد 2،2022

- **المقالات:**

1. سعيد عبادي، موقع تلمسان في تاريخ المدارس الفكرية في العالمين العربي والإسلامي 2011.

2. الأثر العلمي للرحلات في الغرب الإسلامي، د/ سالمي زينب، جامعة طاهري محمد، بشار، تاريخ الوصول 2022/06/21، القبول 2022/11/24 النشر 2023/01/15.

3. مصطفى عبد السميع محمد وآخرون، الاتصال والوسائل التعليمية القاهرة قراءات أساسية للطالب، 2003 ص 263.

- المعاجم:

1. محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، لسان العرب وورد المعاجم، ط3، 1414.

2. محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، لسان العرب وورد المعاجم، ط1 الجزء 1، دار الصادر، بيروت، 1990.

3. المعجم الوسيط نخبة من اللغويين مجمع اللغة العربية القاهرة، ط3، 1972.

- الرسائل والأطروحات الجامعية:

1. عيسى بخيتي، أدب الرحلة الجزائري الحديث، سياق النص وخطاب الأنساق، أطروحة الدكتوراه، وعلوم في الأدب الجزائري الحديث 2015-2016

2. دحماني محمد، حكايات كرامات الأولياء في منطقة السلف، ماجيستير في الأدب الشعبي، كلية الآداب واللغات جامعة الجزائر 2012-2013

- المواقع الإلكترونية:

http//mfacebook. com 14/05/2023

الفهرس

الفهرس

الشكر

الاهداء

مقدمة .....أ

المدخل:الحركة العلمية في دويلات ما بعد الموحدين

1.صورة عامة للعصر في المغرب والأندلس:.....3

2.الحركة العلمية في الغرب الإسلامي: 3

الفصل الأول:التّصوّف وخطاب الرحلة في القرنيين السابع والثامن الهجريين

أولا: التّصـــــــوّف 15

1.تعريف التّصوّف 15

2/ الحياة العامة للتصوّف في الغرب الإسلامي :..... 17

3/ التصوف في بلاد المغرب الأوسط :..... 18

4/التعريف بابن قنفذ و التّصوّف على عهده :..... 19

ثانيا: خطاب الرحلة وأثره في الغرب الإسلامي:..... 24

1-الخطاب: 24

2/ ماهية الرحلة وأنواعها: 27

3) الخطاب الرحلي:..... 28

4) دوافع الرحلة في الغرب الإسلامي 29

5.طبيعة الرحلات داخل دويلات الغرب الإسلامي:..... 34

6.الحركة الرحلية الداخلية في الغرب الإسلامي:..... 37

7. المراحل التي مرت بها الرحلة في عصر ابن قنفذ: 40

الفصل الثاني:قراءة مختصرة من العتبات إلى المتن

أوّلا : الخطـــــــاب الرّحـــــــليّ: 45

1/ من حيث المضمون : 45

2/من حيث الشّكل: 46

3/ مكوّنات الخطاب الرّحلي : 48

4/ خصائص الكتابة الرّحلية في أنس الفقير و عزّ الحقير: 49

5/ أسلوب الرحلة..... 50

ثانـــــــيا: تجليـــــــات التّصوّف في الرحلة: 51

2.الكرامة: 53

3-الأضرحة والمقابر 61

4-الطوائف والفرق 64

خاتمة: 69

قائمة المصادر والمراجع 72

- **القرآن الكريم**. 72

- **المصادر**: 72

الفهرس..... 79

الملخص: 82

الملخص:

يعدّ ابن قنفذ القسنطيني من الرحالة الصوفيين، الذين جابوا الأمصار، طلبا للعلم ورغبة في التعرف على متصوفي عصره وما سبقه من عصور، فشهدت حياته ثلاثة عصور متزامنة: الحفصية شرقا، وبنو الواد وسطا، والمرينية غربا، خاصة وأنّ الأرضية كانت خصبة ومهيأة فيها، إذ شهدت هذه الدويلات المتجاورة حركات علمية نشيطة، وقد تجلى ذلك من خلال بروز العلماء وانتشار دور العلم كالجوامع والمدارس وغيرها.

وموازاة مع هذه الحركة العلمية كانت قد انتشرت الصوفية، وزاد إقبال الناس عليها، ومن هؤلاء ابن قنفذ القسنطيني الذي جعل رحلة الموسومة " بأنس الفقير وعز الحقير" فضاء انتقل من خلاله من قسنطينة إلى العباد بتلمسان ليزور ضريح أبي مدين شعيب، فتحدث عنه وعن كراماته، كما انتقل إلى فاس ليتعرف على شيوخه وأصحابه وتلامذته ووقف على أضرحتهم، وتعرف على أهم الطوائف والفرق.

فكانت رحلته فعلا رحلة زيارية صوفية علمية.

Summary:

Ibn Qunfudh Al-Qusanṭīnī is one of the Sufi travelers who journeyed through the whirlwind seeking knowledge and a desire to understand the Sufis of his time and preceding eras. His life witnessed three concurrent eras: the Hafsid in the east, the Banu Wad in the center, and the Marinids in the west. The fertile ground of these neighboring dynasties witnessed active scientific movements, evident through the emergence of scholars and the spread of educational institutions like mosques and schools.

Alongside this scientific movement, Sufism flourished, attracting people's interest. Among them was Ibn Qunfudh Al-Qusanṭīnī, whose journey, named "With the Companion of the Poor and the Dignity of the Humble," took him from Qusanṭīnah to Tlemcen to visit the tomb of Abu MadyanShu'ayb, where he spoke of him and his miracles. He then traveled to Fez to meet its scholars, companions, and disciples, visiting their tombs and acquainting himself with the most important sects and groups.

His journey was indeed a scientific and Sufi pilgrimage.